ماركس

الحرب الأهلية في فرنسا



ياعمال العالم اتحدوا

المكتبة التقدمية

يا عمال العالم ، اتحدوا !

مـاركس

الحرب الاهلية في فرنسا

دار التقدم
موسكو

ترجمة الياس شاهين

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لهـا ملاحظاتكم حول ترجمة الكتاب ، وشكل عرضه ، وطباعته ، واعربتم لها عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكي بولفار ، ١٧

موسكو - الاتحاد السوفييتي

ИБ № 10806

Редактор русского текста *Т. И. Бородулина*

Контрольный редактор *А. К. Яшина*

Художественный редактор *В. И. Колганов*

Технический редактор *И. К. Дерва*

Корректор *Е. И. Николаева*

Сдано в набор 25.02.81. Подписано в печать 20.11.81.
Формат 84×108¹/₃₂. Бумага типографская № 1.
Гарнитура арабская 549. Печать высокая. Условн. печ. л. 6,3.
Уч.-изд. л. 8,06. Тираж 4210 экз. Заказ № 145. Цена 28 коп. Изд. № 33489.

Ордена Трудового Красного Знамени
издательство «Прогресс»
Государственного Комитета
СССР по делам издательств,
полиграфии и книжной торговли.
Москва 119021, Зубовский бульвар, 17.

Ордена Трудового Красного Знамени
Московская типография № 7 «Искра революции»
«Союзполиграфпрома» Государственного
комитета СССР по делам издательств,
полиграфии и книжной торговли.
Москва 121019, пер. Аксакова, 13.

طبع في الاتحاد السوفييتي

М $\frac{10101-302}{016(01)-81}$ 373—82 0101010000

الحرب الاهلية في فرنسا (١)

مقدمة بقلم فريدريك انجلس عام ١٨٩١ (٢)

لم اكن اتوقع ان يطلب اليّ اعداد طبعة جديدة لنداء المجلس العام للاممية «الحرب الاهلية في فرنسا» ، وان اقدم له . ولذا كان كل ما في وسعي هنا هو ان اتناول اهم النقاط بايجاز .

انني أُصدّر النداء الاطول المشار اليه آنفاً بالندائين الاقصر منه اللذين اصدرهما المجلس العام حول الحرب الفرنسية البروسية * . وذلك اولا ، لأن النداء الثاني من هذين الندائين قد استشهد به في «الحرب الاهلية» ولأنه بحد نفسه ، دون النداء الاول ، لا يمكن فهمه بصورة تامة ، وكذلك لأن هذين الندائين اللذين سطرهما ماركس ايضاً ، هما مثلان بارزان ليسا باقل دلالة من «الحرب الاهلية» على الموهبة الفذة التي يتمتع بها المؤلف في فهم طبيعة الاحداث التاريخية العظمى وفحواها ونتائجها الضرورية فهماً صحيحاً في الوقت الذي تكون فيه هذه الاحداث ما تزال تجري امام ناظرينا ، او غب وقوعها مباشرة ، وهي الموهبة التي تجلت اول ما تجلت في «الثامن عشر من برومير لويس بونابرت» . واخيراً ، لأننا ما نزال نعاني حتى الآن ، نحن في المانيا ، من العواقب التي نشأت عن هذه الاحداث والتي تنبأ بها ماركس .

* راجع هذا الكتاب ، ص ١٩-٢٤ ، ٢٥-٣٣ . **الناشر** .

ألم تتحقق نبوءة النداء الاول القائلة ان حرب المانيــــا الدفاعية ضد لويس بونابرت ، اذا انتكست الى حرب فتح وقهر ضد الشعب الفرنسي ، تأتى على المانيا ان تتحمل من جديــد وبشكل ادهى وامرّ جميع المصائب التي حلت بها بعد ما يدعى بحرب التحرر (٣) ؟ ألم نعان بعد ذلك عشرين سنة كاملة من حكم بيسمارك ، حل فيها القانون الاستثنائي (٤) واضطهـــاد الاشتراكيين محل ملاحقات الديماغوجيين (٥) ، بنفس ما كانت تنطوي عليه من اجراءات بوليسية تعسفية وتفسيرات للقانون تثير اشد الاشمئزاز ؟

ثم ألم تتحقق حرفياً النبوءة القائلـــة بأن ضم الالزاس-اللورين «سيدفع فرنسا الى احضان روسيا» ، وأنه سيترتب على المانيا بعد هذا الضم اما ان تصبح خادمة روسيا بصورة سافرة واما ان تبدأ بعد فترة قصيرة من الراحة تستعد لحرب جديدة ، هي «حرب عنصرية ، حرب ضد العنصرين الســـلافي والروماني مجتمعين» * ؟ ألم يؤد ضم الاقليمين الفرنسيين الى دفع فرنسا الى احضان روسيا ؟ ألم يخطب بيسمارك عبثاً ود القيصر طيلة عشرين سنة كاملة بتقديم خدمات له بصورة اكثر خشوعاً مما كانت تفعله بروسيا الصغيرة عادة بركوعها امام اقدام «روسيا المقدسة» ، قبل ان تصبح «الدولة العظمى الاولى في اوروبا» ؟ أوليس حقاً اننا ما نزال نجد سيف داموكليس مسلطاً دائماً فوق رؤوسنا ، منذراً بحرب تنثر هباء في اول يوم من ايامها جميــع احلاف العواهل المدونة رسمياً ، حرب ليس من امرها ما هو ثابت مؤكد اللهم الا الغموض المطلق الذي يكتنف نتيجتهـــا ، حرب عنصرية تعرض اوروبا بأسرها للدمار والنهب على يد خمســـة عشر او عشرين مليوناً من الجنود المسلحين ، حرب لم تندلع نيرانها بعد الا لأن حتى اقوى دولة من الدول العسكرية الكبرى يهولها عجزها المطلق عن تقدير نتائجها النهائية .

وهذا ما يلزمنا ، من باب اولي ، ان نضع مرة ثانيـــة في متناول العمال الالمان هاتين الوثيقتين اللتين تكادان ان تكونا

---

* راجع هذا الكتاب ، ص ٣٠ . **الناشر** .

منسيتين الآن ، واللتين تدلان بصورة رائعة على بعد النظر الذي اتسمت به السياسة العمالية الاممية في سنة ١٨٧٠ .

ان ما قلته عن هذين الندائين ينطبق ايضاً على النداء «الحرب الاهلية في فرنسا» . في ٢٨ ايار (مايو) سقط آخر مكافحي الكومونة على سفوح بيلفيل في النضال ضد قوى عدو متفوقة ؛ وبعد يومين ، في ٣٠ ايار (مايو) تلا ماركس على المجلس العام مؤلفه الذي حدد فيه المغزى التاريخي لكومونة باريس في خطوط قصيرة قوية ، ولكنها على جانب من الصواب بل على جانب من الصحة ، قبل كل اعتبار ، لم يدركهما كل ما كتب بعد ذلك من مؤلفات كثيرة في هذا الموضوع .

لقد اضحت باريس في السنوات الخمسين الاخيرة ، بفضل التطور الاقتصادي والسياسي الذي طرأ على فرنسا منذ عام ١٧٨٩ ، في وضع جعل من المتعذر ان تنشب فيها اية ثورة دون ان ترتدي الطابع البروليتاري : فان البروليتاريا التي دفعت دماءها ثمن النصر تقدمت بمطالبها الخاصة بعد النصر . وقد كانت هذه المطالب غير واضحة ، الى هذا الحد او ذاك ، وحتى مشوشة ، تبعاً لدرجة التطور التي بلغها عمال باريس في الفترة المعنية ، ولكنها جميعاً كانت تنحصر في نهاية الامر في الغاء التناقض الطبقي بين الرأسماليين والعمال . صحيح ان ما من احد كان يعرف كيف يجب تحقيق هذا الالغاء . لكن المطلب ، مهما كانت الصيغة التي صيغ بها غير محددة ، كان ينطوي بحد ذاته على تهديد للنظام الاجتماعي القائم ؛ والعمال الذين قدموا هذا المطلب كانوا ما يزالون يحملون السلاح ، ولذلك كان تجريد العمال من السلاح هو اول المقتضيات بالنسبة للبرجوازيين المتربعين على دست الحكم . ومن هنا ، كانت كل ثورة يؤمن العمال انتصارها ، يليها نضال جديد ينتهي بهزيمة العمال .

حدث هذا لاول مرة في سنة ١٨٤٨ . كان البرجوازيون الليبيراليون من المعارضة البرلمانية يقيمون المآدب من اجل الاصلاح ، سعياً منهم وراء اصلاح انتخابي يضمن لحزبهم السيطرة . واكثر فاكثر ارغمهم النضال ضد الحكومة على التوجه الى الشعب وترتب عليهم ان يتنازلوا تدريجياً عن مكان الصدارة الى

الفئات الراديكالية والجمهورية من البرجوازية والبرجوازية الصغيرة . ولكن خلف هؤلاء كان يقف العمال الثوريون الذين اكتسبوا منذ سنة ١٨٣٠ (٦) قدراً من الاستقلال السياسي اعظم بكثير مما كان يتوهم البرجوازيون وحتى الجمهوريون . وحين نشبت الازمة في العلاقات بين الحكومة والمعارضة ، بدأ العمال نضال الشوارع ؛ واختفى لويس فيليب ، ومعـــه اختفى الاصلاح الانتخابي ؛ وفي مكانه قامت الجمهورية ، جمهوريـــة اعلنها العمال المنتصرون جمهورية «اجتماعية» . ولكن ما من أحد كان يدرك بوضـــوح مضمون هذه الجمهورية الاجتماعية ، ولا حتى العمال انفسهم . ولكنهم كانوا يملكون السلاح في ذلك الحين وصـــاروا قوة في الدولة . ولذلك ما ان شعر الجمهوريون البرجوازيـــون الذين كانوا على دســت الحكم بان الارض تحت اقدامهم صارت أثبت بعض الشيء حتى كان عملهم الاول تجريد العمال من السلاح . وقد جرى ذلك اثناء انتفاضـــة حزيران (يونيو) ١٨٤٨ ، التي اضطر العمال للقيـــام بهـــا بسبب من التعمد في نكث العهود المقطوعة لهم ومن الازدراء السافر بهم ومن محاولة نفي العاطلين عن العمل الى احد الاقاليم النائية . وضمنت الحكومة لنفسهـــا مسبقاً تفوقاً ساحقاً في القوى . وبعد خمســـة ايام من الكفاح البطولي هزم العمـــال . واذ ذاك بدأ التنكيل الدموي بالاسرى العزل ، على نحو لم يشهـــد له التاريخ مثيلا منذ ايام الحروب الاهلية التى ادت الى سقوط جمهورية روما (٧) . وكانت هذه هي المرة الاولى التي اظهرت فيها البرجوازية الى اي مدى من القسوة المسعورة تنتقم من البروليتاريا حين تجرؤ هذه الاخيرة على الوقوف في وجه البرجوازية كطبقة خاصة ، لها مصالحهـــا ومطالبها الخاصة . ومع ذلك لم يكن ما حدث في سنة ١٨٤٨ الا لعب اطفال اذا ما قيس بالجنون الذي تملك البرجوازية سنـــة ١٨٧١ .

وجاء العقاب على الاثر . فاذا كانت البروليتاريا لا تستطيع بعد حكم فرنسا فان البرجوازية قد اصبحت عاجزة عن الحكم . كانت عاجزة عن الحكـــم في تلك الفترة على الاقل : فانهـــا كانت لا تزال آنذاك بغالبيتها ذات ميول مَلَكية ، وكانت منقسمة الى

ثلاثة احزاب لاسر مالكة (٨) وحزب رابع جمهوري . وقد اتاحت نزاعاتها الداخلية للمغامر لويس بونابرت ان يستولي على جميع مراكز السيطرة - الجيش والشرطة والجهاز الاداري - وان ينسف في ٢ من كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٥١ (٩) آخر معقل من معاقل البرجوازية - الجمعية الوطنية . وبدأت الامبراطورية الثانية اي استغلال فرنسا على يد عصابة من المغامرين السياسيين والماليين ، ولكن في الوقت عينه بدأ تطور صناعي لم يكن ممكناً حدوثه اطلاقاً في ظل النظام الوجل التافه الذي كان سائداً في عهد لويس فيليب ، حينما كانت السيطرة مقصورة تماماً على فئة ضئيلة من البرجوازية الكبيرة . لقد انتزع لويس بونابرت من الرأسماليين سلطتهم السياسية بحجة حماية البرجوازية من العمال ، ومن الناحية الاخرى ، بحجة حماية العمال من البرجوازية ؛ وبالمقابل شجع حكمه المضاربة والنشاط الصناعي ، وبكلمة ، شجع على نهوض البرجوازية بأسرها اقتصادياً وعلى اثرائها الى مدى لا سابق له حتى ذاك . ولكن الفساد والسرقة بالجملة اللذين اصبح البلاط الامبراطوري مركزهما ازدادا بمقياس اكبر ، واديا الى انتزاع نسبة مئوية كبيرة من هذا الاثراء .

ولكن الامبراطورية الثانية كانت تعني الاعتماد على الشوفينية الفرنسية ، كانت تعني المطالبة باستعادة حدود الامبراطورية الاولى التي فقدت سنة ١٨١٤ ، او على الاقل ، حدود الجمهورية الاولى (١٠) . ان قيام امبراطورية فرنسية ضمن حدود المَلَكية القديمة ، وفي الواقع ، ضمن الحدود الاضيق المرسومة عام ١٨١٥ - ان مثل هذا الوضع لم يكن من الممكن ان يطول . ومن هنا ضرورة القيام بحرب بين آونة واخرى وتوسيع الحدود . بيد انه لم يكن هنالك توسيع للحدود اكثر الهاباً لخيال الشوفينيين الفرنسيين من توسيعها على حساب الضفة اليسرى الالمانية لنهر الراين . ان ميلا مربعاً واحداً على الراين كان ، بالنسبة لهم ، يفضل عشرة اميال في جبال الألب او في اي مكان آخر . وطالما كانت الامبراطورية الثانية قائمة ، فان المطالبة باستعادة الضفة اليسرى للراين دفعة واحدة او على دفعات كانت

مسألة وقت ليس الا . وقد جاء هذا الوقت بقيـــام الحـــرب النمساوية البروسية في سنة ١٨٦٦ . وبونابرت ، الذي خدع من قبل بيسمارك بشأن «التعويضـــات الاقليميـــة» التي كان يتوقعها ، وكذلك بفعل سياستـــه التي اتسمت بترقب الفرص وبالمغالاة في المكر ، لم يجد امامه مخرجاً غير الحرب التي اندلعت نيرانها سنة ١٨٧٠ فساقته الى هزيمة سيدان ومن ثم الى الاسر في ولهلمسهوي (١١) .

وكانت النتيجة الحتمية ثورة ٤ ايلول (سبتمبر) ١٨٧٠ في باريس . فقد انهارت الامبراطورية كبيت من ورق اللعب واعلنت الجمهورية من جديـــد . ولكن العدو كان يقف على الابواب ؛ وجيوش الامبراطورية كانت اما مطوقة في ميتز بلا امل في الخلاص، او تحت الاسر في المانيا . وفي هذا الوضع الحرج سمح الشعب لنواب باريس في الهيئة التشريعية السابقة بأن يعلنوا انفسهم «حكومة الدفاع الوطني» . وقد لقي هذا الاجراء قبولا سريعـــاً خصوصاً وان جميع الباريسيين القادرين على حمل السلاح سُجلوا الآن في الحرس الوطني لاغراض الدفـــاع وسُلحوا ، بحيث غدا العمال يشكلون فيه الآن الغالبيـــة العظمى . ولكن سرعان ما انفجر التناحر بين الحكومة التي كانت مؤلفة بكاملها تقريباً من البرجوازيين وبين البروليتاريا المسلحة . وفي ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) اقتحمت كتائب العمال دار البلدية وقبضت على بعض اعضاء الحكومة . ولكن الخيانة ونكث الحكومة السافر لتعهداتها وتدخل بعض كتائب البرجوازية الصغيرة ، — كل ذلك ادى الى اطلاق سراح المقبوض عليهم ؛ وتفادياً لنشوب الحرب الاهلية في داخل مدينة تحاصرها قوة عسكرية عدوة ، تركت الحكومـــة السابقة في الحكم .

واخيراً ، في ٢٨ كانون الثانى (ينايـــر) سنـــة ١٨٧١ استسلمت باريس التي انهكتهـــا المجاعـــة ولكنها استسلمت بشروط شريفة لم يعهد لها مثيل في تاريخ الحروب . لقد سُلمت الحصون وجُرد سور القلعة من المدافـــع ، وسَلّمت فرق الميدان والحرس السيار (المتنقل) اسلحتها وأعتبر افرادها اسرى حرب . ولكن الحرس الوطني احتفظ باسلحته وبمدافعه وعقد هدنة فقط

مع المنتصرين . ولم يجرؤ المنتصرون انفسهم على دخول باريس دخول الظافرين . انهم لم يجرؤوا الا على احتلال ركن صغير من باريس يتألف جزئياً من حدائق عامة ، وحتى هذا الركن لم يحتلوه الا لبضعة ايام ! وفي هذه الاثناء كان المنتصرون الذين ضربوا حصاراً على باريس ١٣١ يوماً خاضعين هم انفسهم لطوق ضربه عليهم عمال باريس المسلحون الذين فرضوا رقابة صارمة لمنع اي «بروسي» من تخطي الحدود الضيقة للركن الذي تنازلوا عنه للفاتح الاجنبي . هكذا كان الاحترام الذي اوحى به عمال باريس للجيش الذي القت جيوش الامبراطورية كلها السلاح امامه . واضطر اليونكر البروسيون الذين جاؤوا للثأر من بؤرة الثورة الى ان يقفوا اجلالا امام هذه الثورة المسلحة بالذات وان يحيّوها !

في اثناء الحرب قصر عمال باريس همهم على المطالبة بالمضي النشيط في النضال . ولكن الآن ، بعد عقد الصلح (١٢) على اثر استسلام باريس ، اضطر تيير ، رئيس الحكومة الجديدة ، الى الاقتناع بان حكم الطبقتين المتملكتين – ملاكي الاراضي الكبار والرأسماليين – سيظل معرضاً للخطر ما دام عمال باريس مسلحين . وكان اول اجراء قام به هو محاولة تجريدهم من السلاح . ففي ١٨ آذار (مارس) وجه قوات الميدان مع امر بالاستيلاء على المدفعية التابعة للحرس الوطني وهي التي تم صنعها اثناء حصار باريس بالاموال العامة المجموعة بالاكتتاب . وفشلت هذه المحاولة ؛ فقد هبت باريس كلها ، هبة رجل واحد ، تدافع عن نفسها بالسلاح واُعلنت الحرب بين باريس والحكومة الفرنسية الموجودة في فرساي . وفي ٢٦ آذار (مارس) تم انتخاب كومونة باريس وفي ٢٨ منه تم اعلانها . وسلمت اللجنة المركزية للحرس الوطني التي كانت تقوم بوظائف الحكومة حتى ذلك الحين والتي كانت قد اصدرت مرسوماً بالغاء «شرطة الاخلاق» الفاضحة في باريس ، صلاحيتها الى الكومونة . وفي ٣٠ آذار (مارس) الغت الكومونة التجنيد الاجباري والجيش الدائم واعلنت ان القوة المسلحة الوحيدة هي الحرس الوطني الذي يتألف من جميع المواطنين القادرين على حمل السلاح . والغت

الكومونة كل الاجور المستحقة عن بيوت السكن من تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٧٠ حتى نيسان (ابريل) ١٨٧١ على ان يحتسب ما سبق دفعه عن الاجور المقبلـــة ، واوقفت جميـــــع معاملات بيع الاعيان المرهونة في مكتب الرهونات البلدي . وفي اليوم نفسه تم تثبيت جميع الاجانب الذين انتخبوا للكومونة في مراكزهم لأن «علم الكومونة هو علم الجمهورية العالميـــة» . — وفي ١ نيسان (ابريل) تقرر الا يتجاوز اي مرتب يتقاضـــــاه اي مستخدم في الكومونة ، وبالتالي اي عضو من اعضائها ، مبلغ ٦٠٠٠ فرنك (٤٨٠٠ مارك) . وفي اليوم التالي صدر مرسوم بفصل الكنيسة عن الدولة وبالغاء جميع ما كانت تدفعه الدولة للمقاصد الدينية وكذلك بتأميم جميع ممتلكات الكنيسة ؛ ووفقاً لذلك صدر الامر في ٨ نيسان (ابريل) بأن تُقصى عن المدارس جميـــــع الرموز الدينية والصور والتعاليم المذهبية والصلوات — وبكلمة «كل ما له علاقة بضمير الفرد» ، ووضع هذا الامر تدريجياً موضـــع التنفيذ . — وفي ٥ نيسان صدر مرسوم باعتقال الرهائن لان مكافحي الكومونة الذين كانوا يقعون في قبضة جنود فرساي كان يجري اعدامهم يومياً رمياً بالرصاص ، ولكن هذا المرســـوم لم يوضع ابداً موضع التنفيذ بتمامه . — وفي ٦ نيسان قامت الكتيبة الـ١٣٧ من الحرس الوطني باخراج المقصلـــــة من موضعها وتم احراقها علناً وسط افراح شعبية عظيمة . — وفي ١٢ نيســـــان قررت الكومونة هدم مسلة النصر القائمـــــة في ميدان فاندوم ، والتي سكبها نابليون بعد حرب عام ١٨٠٩ من مدافع العدو التي استولى عليها ، لأن هذه المسلة كانت رمزاً للشوفينية والعداء بين الشعوب . ونفذ هذا القرار في ١٦ ايار (مايو) . — وفي ١٦ نيسان (ابريل) امرت الكومونة باعداد قوائم احصائية بالمعامل التي اغلقها اصحابها وبوضع الخطط لتشغيل هذه المعامل من قبل العمال الذين كانوا يعملون فيهـــــا والذين كان عليهم ان ينتظموا في جمعيات تعاونية ، وبوضع الخطط ايضاً لتوحيد هذه الجمعيات في نقابـــــة واحدة كبرى . — وفي ٢٠ نيســـــان الغت الكومونة العمل الليلي بالنسبـــــة للخبازين ، وكذلك مكاتب الاستخدام التي كان يديرها بصفـــــة احتكاريـــــة ، منذ عهد

الامبراطورية الثانية ، نفر من المخلوقات كانت تعينهم الشرطة – وهم اشد مستثمري العمال ؛ وقد وضعت هذه المكاتب تحت اشراف بلديات دوائر باريس العشرين . – وفي ٣٠ نيسان امرت الكومونة باغلاق مكاتب الرهونات التي كانت تشكل وسيلة لاستثمار العمال استثماراً خاصاً وتتناقض مع حق العمال في ادوات عملهم وفي نيل القروض . – وفي ٥ ايار (مايو) امرت الكومونة بهدم الكنيسة التي كانت قد بنيت تكفيراً عن اعدام لويس السادس عشر .

وهكذا ، اعتباراً من ١٨ آذار (مارس) ، شرع الطابع الطبقي المحض لحركة باريس يبرز بشكل حاد وحازم ، وهو الطابع الذي كان الكفاح ضد غزو العدو قد غطى عليه حتى ذلك الحين . ولما كان العمال وحدهم تقريباً ، أو ممثلوهم المعترف بهم ، هم الذين يجلسون في الكومونة ، فقد حملت المقررات التي اتخذتها طابعاً بروليتارياً صريحاً . وهذه المقررات ، اما انها نصت على اجراء اصلاحات تخلت البرجوازية الجمهورية عنها لمجرد الجبن الدني ، ولكنها هيأت الاساس الضروري لقيام الطبقة العاملة بممارسة النشاط الحر . ومثل ذلك تحقيق المبدأ القائل ان الدين **بالنسبة للدولة** هو مسألة شخصية بحتة . واما ان الكومونة اصدرت اوامر كانت في مصلحة الطبقة العاملة مباشرة وادت جزئياً الى المساس باعماق النظام الاجتماعي القديم . ولكنه لم يكن بالمستطاع تحقيقاً لجميع هذه الاجراءات ، في ظروف المدينة المحاصرة ، غير القيام ، في افضل الاحوال ، بالخطوات الاولى . فابتداء من اوائل ايار (مايو) انصرفت جميع القوى لمقاتلة جيوش حكومة فرساي التي كانت تتزايد باستمرار .

في ٧ نيسان (ابريل) استولى جنود فرساي على معبر السين عند نويي في جبهة باريس الغربية ، ولكن الجنرال أيد صدّ هجوم هؤلاء في الجبهة الجنوبية في ١١ نيسان وكبدهم خسائر كبيرة . ان اولئك الذين وصموا قصف البروسيين لباريس بأنه استباحة للمقدسات ، قد عرضوها انفسهم الآن لقصف متواصل . واخذ هؤلاء انفسهم يتوسلون الآن الى الحكومة البروسية بان تعيد ، على وجه السرعة ، الجنود الفرنسيين الذين اسروا في سيدان

وميتز قصد ان يعيدوا لهم باريس . وقد اتاح وصول هؤلاء الجنود تدريجياً لقوات فرساي تفوقاً حاسماً في اوائل ايار . واتضح هذا الامر في ٢٣ نيسان عندما قطع تيير المفاوضات التي ابتدأت باقتراح الكومونة لمبادلة رئيس اساقفة باريس * وعدد من القساوسة الآخرين المحتجزين كرهائن في باريس ، برجل واحد فقط هو بلانكي الذي كان قد انتخب مرتين للكومونة ولكنه كان سجيناً في كليرفو . وازداد ذلك وضوحاً من تغير لهجة خطابات تيير ؛ فمن متحفظة وغامضة كما كانت عليه حتى ذلك الحين اصبحت الآن فجأة وقحة وخشنة ومهددة . استولت قوات فرساي على معقل مولان-ساكه في الجبهة الجنوبية في ٣ ايار (مايو)، وفي ٩ منه استولت على حصن اسي الذي كانت نيران المدفعية قد احالته الى كومة من الخراب ، كما استولت في ١٤ منه على حصن فانف . وفي الجبهة الغربية استولت قوات فرساي على قرى ومباني عديدة كانت تمتد حتى سور المدينة ووصلت تدريجياً الى خط التحصينات الرئيسي ؛ وفي ٢١ ايار تسنى لها من جراء الخيانة وبسبب من اهمال افراد الحرس الوطني المرابطين هناك ان تتسلل الى داخل المدينة . اما البروسيون الذين كانوا يحتلون الحصون الشمالية والشرقية فقد سمحوا لجنود فرساي بالمرور الى القسم الشمالي من المدينة عبر المنطقة التي كانت محظورة عليهم بمقتضى الهدنة ، ومن ثم القيام بهجوم على جبهة عريضة كان الباريسيون يحسبونها ، حسب احكام الهدنة ، مأمونة من الهجوم وحصنوها بصورة ضعيفة . ولذلك كانت المقاومة في النصف الغربي من باريس ، اي في احياء الاغنياء الفخمة ، ضعيفة نسبياً ؛ ولكن هذه المقاومة كانت تزداد شدة وعناداً كلما اقترب الجنود المقتحمون من نصف العاصمة الشرقي ، وهو منطقة العمال بالذات . ولم يسقط آخر المدافعين عن الكومونة على مرتفعات بيلفيل ومنيلمونتان الا بعد قتال استمر ثمانية ايام ، وعندئذ بلغت اوجها مذبحة العزل من الرجال والنساء والاطفال ، التي ظلت مستعرة الاوار على نطاق متزايد طوال اسبوع كامل .

* داربوا . **الناشر** .

لم تعد البنادق المحسّنة تستطيع ان تقتل بالسرعة الكافية ، فكانوا يقتلون المهزومين بالمئات من المدافع الرشاشة . وما زال «حائط الكومونيين» في مقبرة بيير لاشيز ، حيث حدثت المذبحة الجماعية الاخيرة ، ماثلا حتى اليوم ، شاهداً صامتاً ولكنه بليغ على الجنون الذي يمكن ان يتملك الطبقة الحاكمة حالما تجرؤ البروليتاريا على الدفاع عن حقوقها . وثم حين تبين ان ذبحهم جميعاً يخرج عن نطاق الامكان ، جاء الاعتقال بالجملة واطلاق الرصاص على الضحايا الذين كانوا يختارون اعتباطاً من صفوف الاسرى . اما الباقون ، فقد نقلوا الى معسكر كبير حيث كان عليهم ان ينتظروا محاكمتهم امام المحكمة العسكرية . وكانت لدى الجنود البروسيين الذين يحيطون بباريس من الجهة الشمالية الشرقية اوامر بعدم السماح لاي هارب بالمرور ، ولكن الضباط كثيراً ما كانوا يغمضون عيونهم عندما كان الجنود يؤاثرون طاعة دواعي الانسانية على اوامر القيادة العليا ؛ واشتهر خصوصاً بالسلوك الانساني الفيلق الساكسوني الذي اتاح فرصة المرور لكثيرين من الناس كان من الجلي انهم من مكافحى الكومونة .

* * *

واذا نظرنا اليوم ، بعد عشرين سنة ، الى نشاط كومونة باريس سنة ١٨٧١ ، والى مغزاها التاريخي ، وجدنا من الضروري ان نقوم ببعض الاضافات الى الوصف الذي تضمنه مؤلف «الحرب الاهلية في فرنسا» .

لقد كان اعضاء الكومونة منقسمين الى اكثرية من البلانكيين كانوا يسيطرون ايضاً في اللجنة المركزية للحرس الوطني ، والى اقلية من اعضاء جمعية الشغيلة العالمية ، تتألف بصفة رئيسية من اتباع مدرسة برودون الاشتراكية . ولم تكن الاغلبية العظمى من البلانكيين في ذلك الوقت اشتراكية الا من حيث الغريزة الثورية البروليتارية ، ولم يرتفع الا القليلون منهم الى ادراك اوضح للمبادئ ، وذلك بفضل فايان الذي كان مطلعاً على الاشتراكية العلمية الالمانية . ولذا يصبح من المفهوم لماذا فات

الكومونة كثير من الاشياء في المجال الاقتصادي وهي اشياء كان ينبغي تحقيقها بحسب آرائنا اليوم . ولا ريب ان اكثر ما يستعصي على الفهم هو ذلك الاحترام الذي وقفت به الكومونة اجلالا امام ابواب بنك فرنسا . لقد كانت هذه ايضاً غلطة سياسية كبرى . فلو وقع البنك في ايدي الكومونة لفاق ذلك في اهميته عشرة آلاف من الرهائن ولارغم البرجوازية الفرنسية كلها على الضغط على حكومة فرساي لعقد الصلح مع الكومونة . ولكن ما هو ادعى بكثير الى الدهشة ، صواب كثير من الاجراءات التي قامت بها الكومونة بالرغم من انها كانت مؤلفة من بلانكيين وبرودونيين . وطبيعي ان البرودونيين هم المسؤولون بصفة رئيسية عن المراسيم الاقتصادية ، بفضائلها ونقائصها ، التي اصدرتها الكومونة ، كما ان البلانكيين مسؤولون عن اعمالها واخطائها السياسية . وقد شاءت سخرية التاريخ — وهو شيء عادي عندما يتسلم العقائديون الحكم — ان هؤلاء واولئك قد اتوا بنقيض ما كانت تنص عليه تعاليم مذهبهم .

لقد كان برودون ، اشتراكي الفلاحين الصغار والحرفيين هذا ، يكره الجمعية بكل بساطة . كان يقول ان شرها اكثر من خيرها وانها بطبيعتها عقيمة بل مؤذية ، انها سلسلة من السلاسل التي تقيد حرية العامل ؛ انها عقيدة جامدة فارغة عديمة الفائدة وحافلة بالاعباء لا تتعارض مع حرية العامل فحسب بل ايضا مع اقتصاد العمل ؛ وان نواقصها تتضاعف بأسرع مما تتضاعف فضائلها وان المنافسة وتقسيم العمل والملكية الخاصة هي ، خلافاً لها ، قوى اقتصادية مفيدة . ان الجمعية العمالية لا تلائم الا في حالات استثنائية هي ، كما يقول برودون ، الصناعة الكبيرة والمؤسسات الكبيرة كالسكك الحديدية مثلا . (راجع «الفكر العامة للثورة» ، النبذة الثالثة) .

غير ان الصناعة الكبيرة قد كفت في عام ١٨٧١ عن ان تكون في عداد الحالات الاستثنائية حتى في باريس ، هذا المركز للصناعات اليدوية الفنية ، لدرجة ان اهم مرسوم اتخذته الكومونة كان يقضي بتنظيم الصناعة الكبيرة ، وحتى المانيفاكتورة ، على اساس جمعيات العمال شرط الا تتكون في كل

مصنع على حدة فحسب ، بل ان تتحد كذلك في نقابة واحدة كبرى . وبايجاز نقول ان هذا التنظيم ، كما لاحظ ماركس بصورة صحيحة في «الحرب الاهلية» ، كان يجب ان يؤدي في نهاية الامر الى الشيوعية ، اي الى النقيض المباشر لتعاليم برودون . ولذلك كانت الكومونة في الوقت نفسه قبر مدرسة برودون الاشتراكية . وقد اختفت هذه المدرسة اليوم من بيئة العمال الفرنسيين ؛ فهنا تسود الآن نظرية ماركس ، دون منازع ، بين «الامكانيين» (١٣) بدرجة لا تقل عنها بين «الماركسيين» . وليس هنالك من برودونيين الا في بيئة البرجوازية «الراديكالية» .

ولم يكن البلانكيون بأسعد حظاً . فان هؤلاء قد نشأوا في مدرسة التآمر وشد بعضهم الى بعض النظام الصارم الخاص بهذه المدرسة ، ولذا رأوا ان عدداً قليلا نسبياً من الرجال ذوي العزم والحسني التنظيم يستطيعون ، في لحظة مؤاتية ، لا ان يستولوا على السلطة فحسب بل ، باتخاذ اشد التدابير حزماً وقوة ، ان يحتفظوا بها ايضاً في ايديهم الى ان ينجحوا في جذب جماهير الشعب الى الثورة ولفها حول عصبة صغيرة من القادة . ولهذا كان من الضروري قبل كل شيء تركيز كامل السلطة في يد الحكومة الثورية الجديدة تركيزاً ديكتاتورياً يتسم باقصى الصرامة . ولكن ماذا فعلت الكومونة في الواقع وهي المؤلفة باكثريتها من هؤلاء البلانكيين انفسهم ؟ لقد ناشدت في جميع مناشيرها الموجهة الى سكان الريف الفرنسي توحيد جميع كومونات فرنسا مع باريس في اتحاد (فدراسيون) حر واحد ، في منظمة وطنية واحدة يجب ان تشكلها الامة بذاتها حقاً وفعلا ولاول مرة . لقد كان على السلطة الظالمة التي تمتعت بها الحكومة الممركزة السابقة وعلى الجيش والشرطة السياسية والبيروقراطية التي كان نابليون قد انشأها في سنة ١٧٩٨ ، والتي تتسلمها منذ ذلك الحين كل حكومة جديدة كاداة مرغوب فيها وكان تستخدمها ضد اعدائها — لقد كان على هذه السلطة بالتحديد ان تسقط في كل مكان في فرنسا تماماً كما سقطت في باريس .

لقد كان على الكومونة ان تعترف منذ بداية الامر بأن الطبقة

العاملة ، وقد جاءت الى الحكم ، لا تستطيع ان تستمر في تصريف الامور بواسطة جهاز الدولة القديم ، وانه ينبغي على الطبقة العاملة ، لكي لا تفقد ثانية الحكم الذي ظفرت به للتو ، ان تطيح بجهاز الاضطهاد القديم جميعه ، الذي كان يستخدم سابقاً ضدها، هذا من جهة ؛ وكان عليها من جهة اخرى ، ان تحمي نفسها من نوابها وموظفيها بجعل تفويضهم جميعاً ، ودون استثناء ، عرضة للسحب في اية لحظة . ماذا كانت الصفة المميزة للدولة قبل ذلك الحين ؟ في البدء ، خلق المجتمع لنفسه اجهزة خاصة لحماية مصالحه المشتركة ، وذلك عن طريق التقسيم البسيط للعمل . بيد ان هذه الاجهزة ، واهمها سلطة الدولة ، تحولت مع مضي الزمن وتحقيقاً لمصالحها الذاتية الخاصة ، من خادمة للمجتمع الى سيدة له . ويمكننا ان نرى ذلك ، على سبيل المثال ، ليس في الملَكية الوراثية فحسب ، بل في الجمهورية الديموقراطية ايضاً . وليس هنالك مكان يشكل فيه «الساسة» قسماً من الامة اشد نفوذاً وانعزالا مما في اميركا الشمالية على وجه التحديد . فان كلا من الحزبين الكبيرين اللذين يتناوبان السلطة هناك يديره بدوره اشخاص يحولون السياسة الى امر مربح ويضاربون على مقاعد النواب في الجمعيات التشريعية في الاتحاد كما في الولايات بمفردها ، او يتعيشون من القيام بالتحريض لمصلحة حزبهم ، ويكافأون بالمناصب عندما ينجح هذا الحزب . ومعروف كم بذل الاميركيون من جهود في الثلاثين سنة الاخيرة لكي ينفضوا عنهم هذا النير الذي اصبح لا يطاق وكيف انهم ما زالوا ، على الرغم من ذلك ، يغرقون اكثر فأكثر في مستنقع الفساد . وفي اميركا ، على وجه التحديد ، يتجلى على افضل وجه كيف يتطور انعزال سلطة الدولة هذا عن المجتمع ، وهي التي قصد منها في البدء ان تكون مجرد اداة له . فهناك لا توجد سلالة ولا نبلاء ولا جيش دائم ، عدا القليل من الجنود الذين يراقبون الهنود الحمر ، ولا توجد بيروقراطية لها ملاكات دائمة وحقوق تقاعدية . ومع ذلك نجد هناك عصابتين كبيرتين من المضاربين السياسيين تستوليان بالتناوب على سلطة الدولة وتستغلانها باقذر الطرائق ولاقذر الغايات — والامة عاجزة ازاء هذين الاتحادين الكبيرين من

الساسة الذين هم ، في الظاهر ، خدامهـــا ولكنهم ، في الواقع ، يسيطرون عليها وينهبونها .

ولمحاربة تحول الدولة واجهزة الدولة على هذا النحو من خدام للمجتمع الى اسياد له – وهو تحول لا مناص منه في جميع الدول السابقة – لجأت الكومونة الى وسيلتين لا تخطئان : اولا ، عينت في جميع الوظائف – الادارية والقضائيـــة والتعليمية – اشخاصاً منتخبين على اساس الحق الانتخابي العـــام واقرت في الوقت نفسه حق سحب تفويض هؤلاء المنتخَبين بقـــرار من منتخِبيهم في اي وقت . ثانياً ، لم تدفع لجميع الموظفين ، كباراً وصغاراً ، الا الاجور التي يتقاضاها العمال الآخرون . وكان اعلى مرتب تدفعه الكومونـــة على العموم هو ٦٠٠٠ فرنك . وبهذه الطريقة اقيم حاجز امين في وجه الركض وراء المناصب الرابحة والوصولية ، حتى بغض النظر عن التفويضات الملزمة التي كانت تصدر للمندوبين في الهيئات التمثيلية ، وهي التي ادخلتهـــا الكومونة بالاضافة الى ذلك .

هذا التحطيم لسلطة الدولة القديمة والاستعاضة عنهـــا بسلطة جديدة ، ديموقراطية حقاً ، انما جاء وصفهما بالتفصيل في الفصل الثالث من «الحرب الاهلية» . ولكنه كان من الضروري ان نقف هنـــا وقفـــة قصيرة مرة اخرى عند بعض ملامح هذه الاستعاضة ، لأن الاعتقاد الخرافي بالدولة قد انتقل ، في المانيا بوجه خاص ، من الفلسفة الى الوعي العام للبرجوازيـــة وحتى لكثيرين من العمال . فالدولة ، وفق تعاليم الفلاسفـــة ، هي «تحقيق الفكرة» او هي ، مترجمة الى لغة الفلاسفة ، مملكة الله على الارض ؛ الدولة هي المجال الذي تتحقق فيـــه او ينبغي ان تتحقق فيه الحقيقة والعدالة السرمديتان . ومن هنا ينبثق الاحترام الخرافي للدولة ولكل ما يتصل بها ، وهو احترام خرافي يرسخ بسهولة اكبر لأن الناس معتادون ، منذ الطفولة ، ان يتصوروا ان الشؤون والمصالح التي تعود الى المجتمـــع بأسره لا يمكن تحقيقها والحفاظ عليها الا بالطريقة المتبعـــة في الماضي اي بواسطة الدولة وموظفيها الذين يمنحون المناصب الرابحـــة . ويتصور الناس انهم يخطون الى امام خطوة خارقة في جرأتها اذا

حرروا انفسهم من الاعتقاد بالمَلَكية الوراثيـــة واصبحوا من انصار الجمهورية الديموقراطية . اما في الحقيقة فان الدولة ليست الا جهازاً لقمع طبقة من قبل طبقة اخرى ، وهذا ما يصدق على الجمهورية الديموقراطية بدرجة لا تقل اطلاقاً عن صدقـــه على المَلَكية . والدولة ، حتى في احســـن الحالات ، شر ترثـــه البروليتاريا المنتصرة في الكفاح من اجل السيطرة الطبقيـــة ؛ والبروليتاريا المنتصرة ، شأنها في ذلك شأن الكومونة ، ستضطر الى بتر اسوأ جوانب هذا الشر في الحال حتى يحين ذلك الوقت الذي يستطيع فيه جيل تربى في ظروف اجتماعية جديدة حرة ان يطرح عفاشة الدولة بكاملها فوق كوم النفايات .

في الآونة الاخيرة شرع رعب ناجع من كلمتي «ديكتاتورية البروليتاريا» يستبد من جديـــد بالتافهين الضيقي الافق من الاشتراكيين-الديموقراطيين . هل تريدون ان تعرفوا ، ايهـــا السادة المحترمون ، كيف تبدو هذه الديكتاتورية ؟ انظروا الى كومونة باريس . فقد كانت ديكتاتورية البروليتاريا .

لندن ، في يـــوم الذكـــرى العشرين
لكومونة باريس ،
١٨ آذار (مارس) ١٨٩١

فريدريك انجلس

صدرت في مجلة **«Die Neue Zeit»**
Bd. 2, N 28, 1890—1891
وفي كتاب Marx. «Der Bürgerkrieg: in Frankreich». Berlin, 1891

كتبت باللغة الالمانية

النداء الاول من المجلس العام
لجميعة الشغيلة العالمية
حول الحرب الفرنسية البروسية (١٤)

الى اعضاء جمعية الشغيلة العالمية
في اوروبا والولايات المتحدة

لقد قلنا في «البيان التأسيسي **لجمعية الشغيلة العالمية**» في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٦٤ : «اذا كان تحرير الطبقة العاملة يقتضي تعاوناً اخوياً بين العمال فكيف يمكنهم اداء هذه الرسالة العظمى مع وجود سياسة خارجية تتوخى اهدافاً مجرمة وتلعب على وتر الاوهام القومية وتريق دماء الشعب وتبذر ثروته في حروب لصوصية ؟» . وقد حددنا السياسة الخارجية التي تهدف اليهـــا الاممية في الكلمات التالية : «. . . ان نسعى لكي تصبح القوانين البسيطة للاخلاق والعدالة التي يجب ان يسترشد بها الافراد في علاقات بعضهم ببعض ، القوانين العليا للعلاقات بين الشعوب ايضاً» .

ولا غرابة اذا كان لويس بونابرت الذي اغتصب سلطتـــه باستغلال النضال الطبقي في فرنسا ومد اجل سيطرته بشن عدد من الحروب في الخارج ، قد وقف من الاممية منذ البداية موقفه من عدو خطر . ففي عشية الاستفتاء (١٥) شن حملة على اعضاء اللجان القيادية لجمعية الشغيلة العالمية في باريس وليون وروان ومرسيليا وبريست – وبكلمة في طول فرنسا وعرضها – بحجة ان الاممية جمعية سرية وانها تدبر مؤامرة لاغتياله ؛ ان سخافة هذا الاختلاق ما لبث قضاته انفسهم ان فضحوها . وماذا كانت الجريمة الحقيقية التي ارتكبتها الفروع الفرنسية للاممية ؟ لقد قالت للشعب الفرنســـي علنـــاً واكدت له : ان الاشتراك في

الاستفتاء يعني التصويت بالموافقة على الاستبداد في الداخل وعلى الحرب في الخارج . وقد كان من عملها في الواقع ان الطبقة العاملة في جميع المدن الكبرى وجميع المراكز الصناعية في فرنسا هبت كرجل واحد لرفض الاستفتاء . ولكن ، لسوء الحظ ، كانت الغلبة للجهل المطبق في الدوائر الريفية . ولقد حيت البورصات ومجالس وزراء الدول والطبقات الحاكمة والصحافة في اوروبا هذا الاستفتاء على اعتبار انه نصر احرزه الامبراطور الفرنسي على الطبقة العاملة الفرنسية ؛ وكان الاستفتاء اشارة لا لاغتيال فرد واحد بل لاغتيال شعوب بأسرها .

ان مؤامرة الحرب في تموز (يوليو) سنة ١٨٧٠ (١٦) ما هي الا نسخة معدلة عن coup d'état * الذي جرى في كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٥١ (١٧) . وقد بدا الامر ، لاول وهلة ، على درجة من السخف بحيث ان فرنسا لم ترد ان تثق بجدية الاشاعات عن الحرب . وكانت اميل بكثير الى تصديق النائب ** الذي رأى في خطابات الوزراء المشربة بروح العسكرية مجرد حيلة من حيل البورصة . وعندما اعلن اخيراً ، في ١٥ تموز (يوليو) بصورة رسمية عن الحرب للهيئة التشريعية ، رفضت المعارضة بأسرها المصادقة على الاعتمادات التمهيدية ؛ وحتى تيير نفسه وصم الحرب كشيء «شنيع» ؛ واستنكرتها جميع الصحف المستقلة في باريس ، ومن العجيب ان صحف الاقاليم شاركتها في ذلك بما يشبه الاجماع .

وفي هذه الاثناء عكف اعضاء الاممية الباريسيون ، مرة ثانية ، على العمل . ونشروا في العدد الصادر في ١٢ تموز من جريدة «Réveil» (١٨) البيان «الى عمال جميع الامم» ، ونورد منه المقاطع التالية :

«مرة اخرى ، وبحجة التوازن الاوروبي وحماية الشرف القومي ، يتعرض السلام العام للخطر بسبب الطموح السياسي . ايها العمال الفرنسيون والالمان والاسبان ! لنوحد اصواتنا في صرخة مشتركة واحدة استنكاراً للحرب ! . . فالحرب من اجل التفوق او الحرب لمصلحة اسرة مالكة لا

* انقلاب . **الناشر** .

** جول فافر . **الناشر** .

يمكن ان تكون ، في نظر العمال ، الا جنونــــا مجرماً . ونحن الذين نريد السلام والعمل والحرية ، نحن نحتج على نداءات تدعو للحرب يصدرها هؤلاء الذين يستطيعون ان يعفوا انفسهم من «ضريبة الدم» والذين تكون البلايا الاجتماعية بالنسبة لهم مصدراً لمضاربات جديدة ! . . ايها الاخوة في المانيا ! ان العاقبة الوحيدة من العداوة بيننـــا هي انتصار الاستبداد انتصاراً تاماً على جانبي الراين ... ايها العمال في جميع البلدان ! مهما تكن نتائج جهودنا المشتركة في الوقت الحاضر ، فاننا ، نحن ، اعضاء جمعية الشغيلة العالمية ، الذين لا نعترف باية حدود تفصل بين الدول ، نبعث لكم ، كعهد على تضامننا الذي لا تنفصم عراه ، بتمنيات عمال فرنسا الطيبة وبتحياتهم» .

وهذا البيان الذي اصدرته فروعنا الباريسية قد تلتـــه نداءات فرنسية عديدة مشابهة ليس بوسعنا ان نورد منها هنا سوى واحد ، اصدره الفرع في نويي على السين ونشرته صحيفة «Marseillaise» (١٩) في ٢٢ تموز (يوليو) .

«هذه الحرب ، هل هي عادلة ؟ كلا ! هذه الحرب ، هل هي وطنية ؟ كلا ! انها حرب اسرة مالكـــة فحسب . اننا باسم الانسانية ، باســم الديموقراطية ، باسم مصالح فرنسا الحقيقية ، نعلن اننا نشاطر احتجاجات الاممية ضد الحرب مشاطرة تامة حازمة» .

كانت هذه الاحتجاجات تعبر عن مشاعر العمال الفرنسيين الحقيقية ، كما اتضح ذلك سريعاً في حادث طريف . حين أُطلقت **عصابة ١٠ من كانون الاول** (ديسمبر) (٢٠) التي كانت قد نظمت لاول مرة في عهد رئاسة لويس بونابرت ، على شوارع باريس ، بعد ان تنكرت في ازياء العمال ، لكي تظهر ان حمى الحرب بلغت الذروة ، رد عمال الضواحي الحقيقيون بمظاهرات من اجل السلام كانت من الضخامة بحيث رأى بييتري ، مدير الشرطـــــة ، من الضروري ان يمنع على الفور كل مظاهرات الشوارع بدعوى ان الباريسيين الاوفياء قد اظهروا بما فيه الكفاية وطنيتهم المحتبسة وقتاً طويلا ونفسوا عن حماستهم الحربية التي لا تنضب .

ومهما تكن نتيجـــة حرب لويس بونابرت مع بروسيا — فان ناقوس موت الامبراطورية الثانيـــة قد دوى صوته في باريس . وستنتهي الامبراطورية الثانيـــة ، كما بدأت ، بمهزلة حقيرة .

ولكنه ينبغي الا ننسى ان الحكومات والطبقات السائدة في اوروبا هي التي مكنت لويس بونابرت من ان يلعب خلال ثماني عشرة سنة تلك المهزلة الشرسة – مهزلة **عودة الامبراطورية** .

ان هذه الحرب من جانب المانيا حرب دفاعية . ولكن من الذي وضع المانيا في وضع المضطر للدفاع عن النفس ؟ من الذي مكن لويس بونابرت من شن الحرب على المانيا ؟ انها **بروسيا** ! لقد كان بيسمارك هو الذي تآمر مع لويس بونابرت ذاك بعينه بقصد قمع المعارضة الديموقراطية داخل بروسيا ووضع المانيا تحت حكم آل هوهنزوللرن . ولو ان معركة سادوفا (٢١) خسرت بدلا من ان تكسب ، لغمرت الكتائب الفرنسية المانيا بوصفها حليفة لبروسيا . وبعد النصر الذي احرزته بروسيا ، هل فكرت ولو لحظة واحدة في ان تجابه فرنسا المستعبدة بالمانيا الحرة ؟ على النقيض تماماً ! فانها حرصت بشدة على جمالات نظامها القديم الاصيلة واقتبست بالاضافة اليها من الامبراطورية الثانية جميع حيلها : استبدادها الحقيقي وديموقراطيتها الزائفة ، بهلوانياتها السياسية والاحتيالات المالية ، جملها المنمقة والاحتيال الدني للغاية . وهكذا فان النظام البونابرتي الذي لم يزدهر حتى ذلك الحين الا على ضفة واحدة من الراين ، قد وجد صنواً له على ضفته الاخرى . ومن وضع كهذا ما عسى ان ينشأ سوى **الحرب** ؟

واذا سمحت الطبقة العاملة الالمانية للحرب الراهنة بان تفقد طابعها الدفاعي المحض وتنتكس الى حرب ضد الشعب الفرنسي ، فان النصر والهزيمة عندئذ سيهددان بالهلاك على حد سواء . وجميع صنوف الشقاء التي حلت بالمانيا في اعقاب ما يدعى بحرب التحرير ستنهال عليها من جديد بشكل ادهى وامر .

غير ان مبادئ الامية قد انتشرت انتشاراً واسعاً جداً واعرقت بجذورها عميقاً جداً في الطبقة العاملة الالمانية ، فلا داعي لنا ان نخشى حدوث هذه الخاتمة المحزنة . ان صوت العمال الفرنسيين قد وجد صدى له في المانيا . فقد عقد العمال في ١٦ تموز (يوليو) اجتماعاً حاشداً جباراً في براونشويغ اعربوا فيه عن تضامنهم التام مع بيان باريس ونبذوا بحزم كل فكرة عن العداء القومي لفرنسا واتخذوا قراراً جاء فيه :

«اننـــا اعداء جميع الحروب وفي الدرجـة الاولى حروب الاسر المالكـة . . . اننا نرى انفسنـــا ، بمزيد من الحزن والاسى ، مضطرين للاشتراك في الحرب الدفاعية بصفتها شراً لا مناص منه ؛ ولكننا ، في الوقت نفسه ، نناشد الطبقة العاملة الالمانية باسرها ان تجعل تكرار مثل هذه المصيبة الاجتماعية الهائلة امراً متعذراً ، وان تسعى الى ان تكون للشعوب صلاحيات تقرير مسألة الحرب والسلم بنفسهـــا ، جاعلة الشعوب سيدة لمصائرها الخاصة» .

وفي خيمنيتز عقد اجتماع ضـــم مندوبين يمثلون ٥٠ الف عامل من ساكسونيا واتخذ الحاضرون بالاجماع القرار التالي :

«باسم الديموقراطية الالمانية عامة وباسم العمال الذين ينتمون الى الحزب الاشتراكي-الديموقراطي خاصة نعلن ان الحرب الراهنة ليست الا حرب اسر مالكة . . . ونحن نشد بسرور على اليد الاخوية التي يمدها لنا العمال الفرنسيون . . . واننا ، اذ نتذكر شعار جمعية الشغيلة العالمية : «**يا عمال العالم ، اتحدوا !**» ، لن ننسى ابداً ان عمال **جميع** البلدان هم **اصدقاؤنا** وان طغاة **جميع** البلدان هم **اعداؤنا**» .

وقد اجاب فرع الاممية في برلين ايضاً على بيان باريس بما يلي :

«اننا نشاطركم الاحتجاج بقلوبنا وسواعدنا . . . واننا نقطع عهداً عظيما بان لا صوت النفير ولا هدير المدافع ، ولا النصر ولا الهزيمة ستصرفنا عن عملنا المشترك من اجل اتحاد العمال من جميع البلدان» .

فليكن كذلك !

ومن وراء هذا الصراع الانتحـــاري يلوح شبح روسيـــا المتجهم . وانه لنذير شؤم ان تكون اشارة البدء بالحرب الراهنة قد اعطيت بالضبط في اللحظة التي فرغت فيها الحكومة الروسية من مد خطوط حديدية ذات اهمية ستراتيجية بالنسبة لها واخذت تحشد جنودها في اتجـــاه نهر البروت . ورغم ان الالمـــان يستطيعون ، بحق ، الاعتماد على كسب العطف في حربهم الدفاعية ضد العدوان البونابرتي ، الا انهم يفقدون هذا العطف حالمـــا يسمحون للحكومة البروسية ان تطلب ، او حتى تقبل ، مساعدة القوزاق . وليذكروا ان المانيا لبثت عشرات السنين بكاملها بعد

حرب التحرير التي خاضتها ضد نابليون الاول ، طريحة عند قدمي القيصر .

ان الطبقة العاملة البريطانية تمد يد الصداقة الى العمال الفرنسيين والالمان . وهي على يقين عميق من ان تحالف العمال في جميع الاقطار ، مهما تكن نتيجة هذه الحرب الشنيعة ، سيستأصل شأفة جميع الحروب في نهاية الامر . وفي الوقت الذي تندفع فيه فرنسا الرسمية والمانيا الرسمية في صراع يقتل فيه الاخ اخاه ، يتبادل العمال الالمان والفرنسيون رسائل السلم والصداقة . وهذا الواقع العظيم الذي ليس له مثيل في التاريخ يفتح بحد ذاته الآفاق لمستقبل اكثر اشراقاً . وهو يبين ان مجتمعاً جديداً سيكون مبدأه الاممي – **السلم** ، لأن حاكماً واحداً ، وهو **العمل** ، سيكون لكل شعب ، ينبثق على النقيض من المجتمع القديم ببؤسه الاقتصادي وجنونه السياسي !

وبشير ذلك المجتمع الجديد هو جميعة الشغيلة العالمية .

كتب باللغة الانجليزية

هاي هولبورن ، رقم ٢٥٦ ،
لندن ، وسترن سنترال ،
٢٣ تموز (يوليو) سنة ١٨٧٠

كتبه ماركس بين ١٩ و٢٣ تموز (يوليو) ١٨٧٠
صدر بشكل منشور باللغة الانجليزية في تموز ١٨٧٠ ، وكذلك بشكل مناشير خاصة وفي المطبوعات الدورية باللغات الالمانية والفرنسية والروسية في آب – ايلول (اغسطس – سبتمبر) ١٨٧٠

النداء الثاني من المجلس العام لجمعية الشغيلة العالمية حول الحرب الفرنسية البروسية

الى اعضاء جمعية الشغيلة العالمية في اوروبا والولايات المتحدة

لقد قلنا في ندائنا الاول بتاريخ ٢٣ تموز (يوليو) :

«فان ناقوس موت الامبراطورية الثانية قد دوى صوته في باريس . وستنتهي الامبراطورية الثانية ، كما بدأت ، بمهزلة حقيرة . ولكنه ينبغي الا ننسى ان الحكومات والطبقات السائدة في اوروبا هي التي مكنت لويس بونابرت من ان يلعب خلال ثماني عشرة سنة تلك المهزلة الشرسة – مهزلة **عودة الامبراطورية**» * .

وهكذا اعتبرنا الفقاعة الرغاوية البونابرتية شأناً من شؤون الماضي ، حتى قبل ان تبدأ العمليات الحربية .

ولم نكن مخطئين في حكمنا على حيوية الامبراطورية الثانية . ولم نكن مخطئين ايضاً حينما ابدينا خشيتنا من ان «تفقد الحرب» بالنسبة لالمانيا «طابعها الدفاعي المحض وتنتكس الى حرب ضد الشعب الفرنسي» ** . لقد انتهت الحرب الدفاعية ، في واقع الامر ، باستسلام لويس بونابرت واستسلام سيدان واعلان الجمهورية في باريس . ولكن قبل وقوع هذه الاحداث بكثير ، وفي اللحظة التي اتضح فيها فساد العسكرية البونابرتية التام ، كانت الزمرة العسكرية البروسية قد عقدت العزم على تحويل الحرب الى حرب فتوحات . والحال ان عقبة مزعجة نسبياً كانت تعترض هذا الطريق – **التصريحات**

---

* راجع هذا الكتاب ، ص ٢٢ . **الناشر** .

** راجع هذا الكتاب ، ص ٢٢ . **الناشر** .

التي ادلى بها الملك غليوم نفسه عند بدء الحرب . فقد اعلن غليوم رسمياً في خطاب العرش الذي القاه امام ريخستاغ [برلمان] المانيا الشمالية انه يشن الحرب على الامبراطور الفرنسي لا على الشعب الفرنسي . وفي ١١ آب (اغسطس) اصدر بياناً الى الامة الفرنسية قال فيه :

«لما كان الامبراطور نابليون قد شن الهجوم ، براً وبحراً ، على الامة الالمانية التي كانت وما تزال ترغب في العيش بسلام مع الشعب الفرنسي ، فقد اخذت على عاتقي قيادة الجيوش الالمانية **لصد هذا الاعتداء** وقد دفعني **سير الاحداث العسكرية** الى **اجتياز حدود فرنسا**» .

فلم يكتف غليوم بالتصريح بأنه اخذ على عاتقه قيادة الجيوش الالمانية «**لصد الاعتداء**» بل اضاف ، لتأكيد طابع الحرب الدفاعي ، ان «سير الاحداث العسكرية» وحده هو الذي دفعه لاجتيَاز حدود فرنسا . والحرب الدفاعية لا تنفي ، بطبيعة الحال ، اية عمليات هجومية يمليها «سير الاحداث العسكرية» .

وهكذا قطع هذا الملك التقي على نفسه عهداً امام فرنسا وامام العالم كله بان يخوض حرباً دفاعية محضة . ولكن كيف السبيل الى ابرائه من هذا العهد المهيب ؟ كان على مخرجي هذه المسرحية الهزلية ان يظهروه بمظهر من ينزل ، رغم انفه ، عند متطلبات الشعب الالماني الملحة ؛ولذلك اطلقوا في الحال الاشارة الى البرجوازية الالمانية الليبيرالية باساتذتها ورأسمالييها ، بنوابها في البلديات وصحفييها . وهذه البرجوازية التي ظهرت في كفاحها بين سنتي ١٨٤٦ و١٨٧٠ من اجل الحرية المدنية بمظهر لا مثيل له من التذبذب والعجز والجبن ، تملكها ، بالطبّع ، شعور طاغ بالغبطة من دور الاسد الزائر للوطنية الالمانية ، الدور الذي كان عليها ان تقوم به على المسرح الاوروبي . وقد تقنعت قناع الاستقلال المدني لكي تتظاهر بأنها ترغم الحكومة البروسية على تنفيذ المخططات السرية التي وضعتها الحكومة نفسها . لقد ندمت على ايمانها طيلة سنوات — وكاد ان يكون ايمانــاً دينياً — بعصمة لويس بونابرت ، ولذلك طالبت باصوات عالية بتجزئة الجمهورية الفرنسية . ولنقف ، ولو لحظة ، عند المسوغات اللائقة البراقة التي لجأ اليها هؤلاء فرسان الوطنية الاشاوس .

انهم لا يجرؤون على التأكيد ان سكان الالزاس واللورين يتحرقون شوقاً للعناق الالماني . بل على العكس تماماً . ولعقابهم على مشاعر الوطنية بالنسبة لفرنسا ، يعرضون ستراسبورغ لقصف جهنمي طائش – لأن ما يتسم بأهمية عسكرية ليس المدينة بل القلعة التي تقع بصورة مستقلة عنها وتشرف عليها – يعرضونها للقصف خلال ستة ايام بالقذائف «الالمانية» المتفجرة ويضرمون النار في المدينة ويقتلون عدداً كبيراً من السكان العزل ! وكيف لا ! ان اراضي هذين الاقليمين كانت تابعة في وقت من الاوقات للامبراطورية الالمانية (٢٢) التي زالت منذ غابر الزمان . ولذلك ينبغي ان تصادر هذه الاراضي بسكانها بوصفها ممتلكات المانية لم يبطل حق تملكها . واذا كان لخريطة اوروبا ان يعاد رسمها القديم وفق اهواء غواة العاديات ، فلا يجوز ان ننسى بصورة من الصور ان امير براندنبورغ كان في وقته ، بوصفه اميراً بروسياً ، تابعاً للجمهورية البولونية .

غير ان الوطنيين الشطار يطالبون بالالزاس وبالجزء من اللورين الذي يتكلم سكانه بالالمانية «كضمان مادي» ضد الاعتداءات الفرنسية . ولما كانت هذه المكيدة الشنيعة قد اطاشت صواب الكثيرين من ضعاف العقول ، فاننا نعتبر من واجبنا ان نتناولها بصورة اوفى .

لا ريب في ان الموقع العام للالزاس بالمقارنة مع ضفة نهر الراين المقابلة ، مع وجود حصن كبير مثل ستراسبورغ في منتصف الطريق تقريباً بين مدينتي بال وهيرمرسهايم ، يسهلان كثيراً قيام فرنسا بالتدخل في المانيا الجنوبية ، بينما يجعل ذلك من الصعب الى حد ما التدخل من ناحية المانيا الجنوبية في فرنسا . ولا ريب ايضاً في انه لو ضمت الالزاس وقسم من اللورين ، لقوى ذلك كثيراً حدود المانيا الجنوبية : اذ انها ستصبح في هذه الحال مالكة لظهر جبال فوج على كل امتداده وللقلاع التي تحمي ممراتها الشمالية . ولو ضمت ميتز كذلك ، لحرمت فرنسا الآن ، بلا ريب ، من قاعدتين هامتين جداً للعمليات ضد المانيا ، ولكن هذا لم يمنعها من انشاء قاعدة جديدة عند نانسي او فردون . وتملك المانيا كوبلنتز وماينز وهيرمرسهايم وراشتات واولم – وكلها قواعد للعمليات

موجهة ضد فرنسا . وقد استخدمتها المانيا بصورة رائعة في الحرب الاخيرة . وهل هناك ظل من حق لالمانيا في ان تحسد فرنسا التي لا تملك في هذه المنطقة الا حصنين كبيرين هما ميتز وستراسبورغ ؟ ناهيك بان ستراسبورغ لا تهدد المانيا الجنوبية الا حينما تكون هذه الاخيرة منفصلة عن المانيا الشمالية . وفيما بين سنتي ١٧٩٢ و١٧٩٥ لم تتعرض المانيا الجنوبية للغزو مرة واحدة من تلك الجهة وذلك لأن بروسيا اشتركت في الحرب ضد الثورة الفرنسية ؛ ولكن حالما عقدت بروسيا صلحاً منفرداً (٢٣) في سنة ١٧٩٥ وتركت الجنوب يتدبر اموره بنفسه ، بدأت حملات الغزو تشن ضد المانيا الجنوبية واستمرت حتى سنة ١٨٠٩ ، علماً بان ستراسبورغ اتخذت قاعدة للعمليات . والحقيقة ان المانيا موحدة تستطيع دائماً ان تجعل ستراسبورغ واي جيش فرنسي في الالزاس عديمي الخطر ، وذلك اذا ركزت جميع جنودها ، كما فعلت في الحرب الراهنة ، فيما بين سآرلوي ولانداو ، ودفعتهم الى امام او دخلت في القتال على الطريق من ماينز الى ميتز . وما دامت القوات الالمانية الرئيسية موجودة في ذلك المكان ، فان اي جيش فرنسي يدخل من ستراسبورغ الى المانيا الجنوبية يتعرض لخطر التطويق وقطع مواصلاته . ولئن كانت الحملة الاخيرة قد اثبتت اي شيء ، فقد اثبتت سهولة غزو فرنسا من المانيا .

ولكن ، اذا شئنا الصدق ، أليس على وجه العموم من السخف والرجوع الى مفاهيم انقضى زمانها لو جعلنا الاعتبارات العسكرية هي المبدأ الذي تعين بمقتضاه حدود البلدان ؟ واذا اتبعت هذه القاعدة ، فان النمسا ما يزال من حقها ان تطلب ضم البندقية وخط نهر مينتشو ، ومن حق فرنسا ان تطلب خط نهر الراين لحماية باريس التى تتعرض ، بلا ريب ، لخطر الهجوم من الشمال الشرقي اكثر مما تتعرض برلين للخطر من الجنوب الغربي . واذا كان للحدود ان تعين وفق المصالح العسكرية ، فلن تكون هنالك نهاية للمطالبات لأن كل خط عسكري له ، بالضرورة ، نواقصه ويمكن تحسينه بضم منطقة جديدة ملاصقة له ؛ فضلا عن ان هذه الحدود لا يمكن تعيينها مطلقاً بصورة نهائية وعادلة لأن الغالب يملي الشروط كل مرة على المغلوب ، وهنا بالتالي ، بذرة حروب جديدة .

هكذا يعلمنا التاريخ بأسره . وشأن الامم بكاملهـــا شأن الافراد . ولتجريدها من امكانية الاعتداء ، ينبغي تجريدها من وسائل الدفاع . فلا يكفي التضييق على خناقها ، ينبغي قتلها . وان كان المنتصر قد نال يوماً «ضمانات مادية» لتحطيم قوة امة من الامم ، فان نابليون الاول هو الذي قد فعل ذلك بمعاهدتـــه المعقودة في تلسيت (٢٤) وبالكيفية التي طبقها بها ضد بروسيا وبقيـــة المانيا . ولكن ما كادت تمضي عدة سنوات حتى بدد الشعب الالماني جبروته الهائل هباء . وهل يمكن مقارنة «الضمانات المادية» التي تأمل بروسيا ان تنالها من فرنسا في احلامها الاكثر خيالا وتتجاسر على نوالها بالتي حصل عليها نابليون الاول من المانيا نفسها ؟ وهذه المرة ايضاً لن تكون النتائج اقل هلاكـــاً . ان حساب التاريخ لن يقاس بالاميال المربعة من الارض التي تقتطع من فرنسا بل بفداحة الجريمة التي تنطوي على احياء **سياسة الفتح** في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

ان حماة الوطنية التوتونية يقولون : ولكنه لا ينبغي لكم ان تخلطوا بين الالمان والفرنسيين . فليس المجد هو ما نريد **نحن** بل مجرد السلامة . ان الالمان في جوهرهـــم شعب محب للسلام . فبرعايتهم الرزينة ، تتحول الفتوحات نفسها من سبب لنشوب حرب مقبلة الى كفالة لسلم دائم . طبعاً ليست هي المانيـــا التي غزت فرنسا في سنة ١٧٩٢ لغرض نبيل هو سحق ثورة القرن الثامن عشر بواسطة الحراب ! وليست هي المانيا التي لوثت نفسهـــا بالعار باخضاع ايطاليا وقمع هنغاريا وتقسيم بولونيا ! ونظامها العسكري الراهن الذي ينقسم بفضله جميع السكان الذكور الاصحاء البنية الى قسمين : احدهما جيش دائم في الخدمة والآخر جيش دائم في الاحتياط وعلى كلاهما ان يلتزم بالطاعة العمياء للحكام الذين يحكمون بالحق الالهي – ان هذا النظام هو بطبيعـــة الحال «ضمان مادي» للسلام فضلا عن انه الغاية العليا للمدنية ! وفي المانيا ، كما في كل مكان آخر ، يسمم اذناب اصحاب الحل والربط الرأي العام ببخور الثناء الكاذب على النفس .

ان هؤلاء الوطنيين الالمان يتظاهرون بالغضب الشديد عند رؤيتهم القلعتين الفرنسيتين ميتز وستراسبورغ ، غير انهم لا يرون

بأساً في الشبكة الواسعة من التحصينات الروسية في فرصوفيا وموdلين وايفانغورود . وهم ، اذ يقشعرون من فظائع الغزوات البونابرتية ، يغضون الطرف عن عار الوصاية القيصرية .

وكما تبادل لويس بونابرت وبيسمارك العهود سنة ١٨٦٥ ، تبادل غورتشاكوف وبيسمارك العهود سنة ١٨٧٠ . وكما منّى لويس بونابرت نفسه بان تسفر حرب ١٨٦٦ عن انهاك قوى كل من الطرفين ، النمسا وبروسيا ، فتجعل منه بالتالي الحكم الاعلى لمصير المانيا ، كذلك منّى الكسندر نفسه بان تسفر حرب ١٨٧٠ عن انهاك قوى كل من المانيا وفرنسا فتمكنه بالتالي من ان يصبح الحكم الاعلى لمصير اوروبا الغربية بأسرها . وكما رأت الامبراطورية الثانية من المستحيل قيامها الى جانب قيام اتحاد المانيا الشمالية ، كذلك يجب على روسيا الاوتوقراطية ان ترى نفسها معرضة للخطر من جانب الامبراطورية الالمانية بزعامة بروسيا . هذا هو قانون النظام السياسي القديم . ففي حدود هذا النظام يكون اي غنم تناله اية دولة خسارة لدولة اخرى . ان تفوق نفوذ القيصر في اوروبا يكمن في سيطرته التقليدية على المانيا . وحين تهدد قوى اجتماعية بركانية بزعزعة اعمق اسس الاوتوقراطية في روسيا ذاتها ، هل في وسع القيصر ان يسمح بخسارة كهذه لنفوذه الخارجي ؟ وها هي ذي الصحف الموسكوفية قد شرعت تتحدث باللهجة التي كانت تتحدث بها الصحف البونابرتية بعد حرب ١٨٦٦ . هل يعتقد الوطنيون التوتونيون حقاً بان الحرية والسلام سيضمنان لالمانيا اذا ما ارغموا فرنسا على الارتماء في احضان روسيا ؟ فاذا ما دفع الحظ الحربي والنشوة بالنجاحات ومكائد الاسر المالكة ، المانيا فى طريق انتزاع المناطق الفرنسية نهباً ، فلن يبقى امامها الا طريقان : اما ان تصبح ، مهما كلف الامر ، اداة سافرة في يد السياسة الروسية التوسعية ، او ان تتهيأ ، بعد فترة قصيرة من الراحة ، لحرب «دفاعية» اخرى ، ليست من طراز تلك الحروب «المحلية» المخترعة حديثاً بل **لحرب عنصرية** – حرب ضد العنصرين السلافي والروماني مجتمعين .

ان الطبقة العاملة الالمانية التي لم تملك امكانية منع هذه الحرب ، قد ايدتها بحزم بوصفها حرباً من اجل استقلال المانيا

وتحرير فرنسا واوروبا من كابوس الامبراطورية الثانية القابض. وكان العمال الالمان الصناعيون يؤلفون مع العمال الزراعيين نواة القوات الباسلة بينما بقيت اسرهم في بيوتهم تتضور جوعاً. وفي خارج البلاد نقصت صفوفهم في ساحات الوغى وفي وطنهم تنتظرهم من الفقر بلايا لا تقل شدة. وها هم قد جاؤوا الآن بدورهم يطالبون «بالضمانات» – ضمانات بان ضحاياهم التي لا تحصى لم تذهب هدراً، بانهم قد حصلوا على الحرية حقاً، بان انتصارهم على جيوش بونابرت لن يتحول، كما حدث في عام ١٨١٥، الى هزيمة للشعب الالماني (٢٥). وهم يطالبون في مقدمة هذه الضمانات **بصلح شريف لفرنسا وبالاعتراف بالجمهورية الفرنسية.**

لقد نشرت اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي الالماني بياناً في ٥ ايلول (سبتمبر) الحت فيه بشدة على هذه الضمانات.

«اننا نحتج على ضم الالزاس واللورين. ونحن ندرك اننا نتكلم باسم الطبقة العاملة الالمانية. فخدمة لمصالح فرنسا والمانيا المشتركة، لمصلحة السلم والحرية، لمصلحة الحضارة الاوروبية الغربية وضد البربرية الشرقية، لن يصبر العمال الالمان على ضم الالزاس واللورين... ومع رفاقنا العمال في جميع البلدان، سنعمل بحزم واخلاص من اجل القضية الاممية المشتركة للبروليتاريا!»

ونحن، لسوء الحظ، لا نستطيع ان نحسب انهم سيصيبون نجاحاً مباشراً. فاذا كان العمال الفرنسيون قد عجزوا ابان السلم عن ايقاف المعتدي، فهل تتوفر للعمال الالمان امكانيات اكبر لايقاف المنتصر ابان حمى الحرب؟ ان بيان العمال الالمان يطالب بتسليم لويس بونابرت الى الجمهورية الفرنسية كمجرم عادي. اما حكامهم فيحاولون جاهدين اعادته الى عرش تويلري (٢٦) كانسب رجل يقود فرنسا الى الهلاك. ومهما يكن من امر، فان التاريخ سيثبت ان الطبقة العاملة الالمانية ليست من تلك المادة الرخوة التي جبلت منها البرجوازية الالمانية. انها ستؤدي واجبها.

ونحن نحيي معها تأسيس الجمهورية في فرنسا، ولكن يساورنا في الوقت نفسه توجس نرجو الا يكون له اساس. ان هذه الجمهورية لم تقلب العرش بل اخذت مكانه فحسب بعد ان اصبح

خالياً . وقد تم اعلانها لا على انها نصر اجتماعي بل كاجراء وطني من اجراءات الدفاع . انها في يد حكومة موقتة تتألف جزئياً من اورليانيين معروفين وجزئيـاً من جمهوريين برجوازيين تركت على بعضهم انتفاضة حزيران (يونيو) ١٨٤٨ (٢٧) وصمة لا تمحى . ثم ان توزيع الوظائف بين اعضاء هذه الحكومة لا يعـد باي خير . فقد استولى الاورليانيون على اقوى المواقع – الجيش والشرطة ، بينمـا كان من نصيب اولئك الذين يقولون بانهم جمهوريون وظيفة الثرثرة . وبعض الخطوات الاولى التي قامت بها هذه الحكومة تشير بجلاء ووضوح الى انها لم ترث عن الامبراطورية كومة من الاطلال فحسب ، بل ورثت كذلك فزعها من الطبقة العاملة . واذا كانت تعد الآن باسم الجمهورية امام الملأ بوعود مستحيلة التحقيق ، أوليس القصد من هذا اثارة الضجة لصالح حكومة «محتملة» ؟ الا يجب على الجمهورية ، حسب نية بعض ولاة امورها البرجوازيين ، ان تكون مجرد درجة انتقالية وجسر لاعادة الاورليانيين الى الحكم ؟

وعلى ذلك تجد الطبقة العاملة الفرنسية نفسها في حالة صعبة للغاية . وكل محاولة لقلب الحكومة الجديدة ، في وقت الازمـة الحالية ، اذ يكاد العدو يدق ابواب باريس ، تكون من جنون اليأس . ينبغي على العمال الفرنسيين ان يؤدوا واجبهم كمواطنين ، ولكن لا ينبغي ان يسمحوا لانفسهم بأن تغرر بهم التقاليد القوميـة لعام ١٧٩٢ ، كما سمح الفلاحون الفرنسيون لانفسهـم بأن يخدعوا بالتقاليد القومية للامبراطورية الاولى . ينبغي عليهم الا يستعيدوا الماضي بل ان يبنوا المستقبل . فليستعملوا بهدوء وعزم جميع الوسائل التي تعطيهم اياها الحرية الجمهورية ، لكي يوطدوا بصورة ارسخ تنظيم طبقتهم الخاصة . وهذا ما يمنحهم قوى جديدة ، قوى هرقول للنضال من اجل بعث فرنسا ومن اجل قضيتنا المشتركة – تحرير العمل . وعلى قوتهم وحكمتهم يتوقف مصير الجمهورية .

لقد قام العمال البريطانيون ببعض الخطوات لكي يسحقوا ، بضغط منعش من الخارج ، عدم رغبـة حكومتهـم في الاعتراف بالجمهورية الفرنسية (٢٨) . ولعل الحكومـة البريطانية ترمي بمماطلتها الراهنة الى التكفير عن الحرب ضد اليعاقبة في سنة ١٧٩٢ وعن سرعتها الشائنة التي اعترفت فيها بـ coup d'état (٢٩) . وفضلا

عن ذلك يطالب العمال البريطانيون حكومتهم بان تقف بكل قوتها ضد تقطيع اوصال فرنسا ، وهو ما يطالب به قسم من الصحافة البريطانية دون ادنى حياء . انها الصحافة ذاتها التي ظلت تؤله لويس بونابرت طيلة عشرين عاماً بوصفه مبعوث العناية في اوروبا ، الصحافة التي صفقت بحماسة لعصيان اصحاب العبيد الاميركيين (٣٠) . وهي تجهد الآن ، كما فعلت حينذاك ، من اجل مصالح اصحاب العبيد .

فلتدع فروع **جمعية الشغيلة العالمية** الطبقة العاملة في جميع البلدان الى العمل . فاذا ما نسي العمال واجبهم ، واذا لم يحركوا ساكناً ، فان الحرب الهائلة الراهنة ستكون نذيراً بحروب عالمية اشد هولا ، وستؤدي في كل بلد الى انتصارات جديدة على العمال يحرزها فرسان السيف واسياد الارض والرأسمال .

Vive la République! *

هاي هولبورن ، رقم ٢٥٦ ،
لندن ، وسترن سنترال ،
٩ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٧٠

كتب باللغة الانجليزية

كتبه ماركس بين ٦ و ٩ ايلول ١٨٧٠

صدر بشكل منشور باللغة الانجليزية في ١١-١٣ ايلول سنة ١٨٧٠ ، وكذلك بشكل منشور بالالمانية وفي المطبوعات الدورية باللغتين الالمانية والفرنسية في ايلول - كانون الاول (سبتمبر - ديسمبر) ١٨٧٠

---

* - عاشت الجمهورية ! **الناشر** .

الحرب الاهلية في فرنسا

نداء المجلس العام
لجمعية الشغيلة العالمية

الى جميع اعضاء الجمعية
في اوروبا والولايات المتحدة

١

في ٤ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٧٠ ، عندما اعلن العمال الباريسيون الجمهورية التي حيتها حالا تقريباً فرنسا كلها بالاجماع ، استولت عصابة من المحامين الوصوليين – كان تيير رجلها السياسي وتروشو قائدها العسكري – على بلدية المدينة . في ذلك الوقت كان هؤلاء الناس يتملكهم ايمان اعمى برسالة باريس في تمثيل فرنسا بأسرها في جميع فترات الازمات التاريخية ، بحيث انهم رأوا انه يكفيهم لتبرير لقب حكام فرنسا الذي اغتصبوه ، ان يبرزوا وثائقهم التي انقضى اجلها كنواب لباريس . وفي ندائنا الثاني حول الحرب الاخيرة ، وبعد خمسة ايام على ارتقاء هؤلاء الناس ، شرحنا لكم من هم هؤلاء * . غير ان باريس المأخوذة على حين غرة ، بينما كان قادة العمال الحقيقيون لا يزالون في سجون بونابرت ، والبروسيون يزحفون على المدينة بسرعة ، سمحت لهؤلاء الناس بأن يأخذوا السلطة ، ولكن بشرط لا بدّ منه هو الا يستخدموا هذه السلطة الا لاغراض الدفاع الوطني . ولم يكن من الممكن الدفاع عن باريس الا بتسليح عمالها وتنظيمهم في قوة عسكرية فعالة وتدريبهم على الفن العسكري في الحرب ذاتها . ولكن تسليح باريس كان معناه تسليح الثورة . وانتصار باريس على المعتدي البروسي كان يعني انتصار العامل الفرنسي على الرأسمالي الفرنسي وعلى طفيليي دولته . وحكومة

* راجع هذا الكتاب ، ص ٣٢ . **الناشر** .

الدفاع الوطني المضطرة للاختيار بين الواجب الوطني والمصالح الطبقية ، لم تتردد لحظة واحدة – لقد تحولت الى حكومة خيانة وطنية .

وكان اول ما فعلته ان ارسلت تيير في جولة يطوف بها جميع بلاطات اوروبا يستجدي وساطتها كصدقة واعداً لقاء ذلك بمقايضة الجمهورية بملك . وبعد اربعة اشهر من بدء حصار باريس رأت من المناسب الشروع في الحديث عن الاستسلام ؛ وبحضور جول فافر وغيره من زملائه خاطب تروشو رؤساء بلديات دوائر باريس المجتمعين بالكلمات التالية :

«السؤال الاول الذي وجهه الي زملائي مساء الرابع من ايلول (سبتمبر) ذاته كان التالي : هل تملك باريس اية امكانيات للصمود بنجاح لحصار الجيش البروسي ؟ . لم اتردد في الاجابة على هذا السؤال بالنفي . استشهد ببعض زملائي الحاضرين هنا : في استطاعتهم ان يثبتوا لكم اني اقول الحقيقة واني كنت دائماً اتمسك بهذا الرأي . لقد قلت لهم ما اقوله الآن لكم : ان محاولة باريس للصمود لحصار الجيش البروسي هي في الوضع الراهن مجرد جنون . ولقد اضفت – انها جنون بطولي بالطبع – ولكنها جنون ، لا اكثر . . . ان الاحداث» (التي وجهها هو بنفسه) «قد اثبتت تنبؤاتي» .

هذا الخطاب الصغير الظريف الذي القاه تروشو نشره فيما بعد السيد كوربون احد رؤساء البلديات الحاضرين .

وهكذا في مساء اليوم الذي اعلنت فيه الجمهورية ، كان زملاء تروشو يعرفون ان «خطته» تنحصر في استسلام باريس . ولو لم يكن الدفاع الوطني غير ذريعة لسيطرة تيير وفافر وشركائهما سيطرة شخصية ، لتخلى هؤلاء الذين ظهروا الى الوجود فجأة في ٤ ايلول (سبتمبر) عن الحكم في ٥ منه ولاطلعوا سكان باريس على «خطة» تروشو ولدعوهم الى الاستسلام فوراً او الى ان يتدبروا مصيرهم بانفسهم . ولكن هؤلاء الدجالين الانذال عقدوا العزم على مداواة جنون باريس البطولي بالتجويع والتقتيل ، وقبل حلول ذلك الحين كانوا يخدعونها ببياناتهم المتبجحة . جاء في هذه البيانات : ان تروشو «حاكم باريس لن يقبل الاستسلام ابداً» ؛ ان جول فافر وزير الخارجية «لن يتنازل عن شبر واحد من ارضنا ولا عن حجر

واحد من حصوننا» . وفي رسالة الى غامبيتا ، يعترف جول فافر هذا نفسه بأن ما كانوا «يدافعون» ضده لم يكن الجنود البروسيين انما عمال باريس . وطوال مدة الحصار كان الاشقياء البونابرتيون الذين عهد اليهم تروشو المحترس بقيادة جيش باريس ، يتبادلــون في مراسلاتهم الخاصة النكات البذيئة عن هذا الدفاع المزعوم الذي كانوا يعرفون سره جيداً (راجع ، مثلا ، رسالة ادولف سيمون غيو ، قائد مدفعية جيش باريس وحامل وسام الصليب الكبير لجوقة الشرف الى سوزان ، فريق المدفعية – وهي رسالة نشرتها «Journal Officiel» (٣١) التي اصدرتها الكومونة) . وقد كشف الدجالون القناع اخيراً في ٢٨ كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٧١ (٣٢) . وظهرت حكومـــة الدفاع الوطني فى قضية استسلام باريس ببطولة حقيقية على غاية من الذلة والمهانة ، ظهرت كحكومة لفرنسا مؤلفة من اسرى بيسمارك – وهو دور وضيع لدرجة ان لويس بونابرت نفسه لم يجرؤ على قبوله في سيدان . وحين فر capitulards (٣٣) الى فرســـاي لا يلوون على شيء بعد حوادث ١٨ آذار (مارس) ، خلفوا وراءهم في باريس وثائق تدل على خيانتهم ، وثائق من اجل اتلافها ، كما تقول الكومونة في البيان الذي اصدرته الى الاقاليم ،

«لا يتورع هؤلاء الناس عن تحويل باريس الى كومة من الانقاض يغرقها بحر من الدماء» .

وكانت لدى البعض من ابرز اعضاء حكومة الدفاع ايضـــاً اسباب اخرى خاصة بهم تدفعهم الى هذه الخاتمة .

بعد عقد اتفاقية الهدنة بفترة وجيزة اقدم السيد ميليير – وهو احد نواب باريس في الجمعية الوطنية ، وقد قتل فيما بعد رمياً بالرصاص بامر خاص من جول فافر – على نشر سلسلة من الوثائق القانونية الاصلية تثبت ان جول فافر الذي اتخذ من زوجة سكير مدمن مقيم في الجزائر محظية له ، قد توصل ، بتلفيق سلسلـــة من اقبح التزويرات امتدت عدة سنوات على التوالي ، الى الاستيلاء باسم اطفاله غير الشرعيين ، على ميراث كبير جعل منه رجلا ثرياً ، وتثبت انه لم ينج من قضية التزوير ، بعد الدعوى التي اقامها عليه الورثة الشرعيون ، الا بفضل الحماية التي تمتع بها من جانب

المحاكم البونابرتية . ولمـــا كانت اية بلاغة عاجزة في وجه هذه الوثائق القانونية الدامغــة ، فقد رأى جول فافر من اللازم عقد لسانه ، لاول مرة في حياته ، وانتظار نشوب الحرب الاهلية لكي يشهر تشهيراً مسعوراً بسكان باريس ناعتاً اياهم بانهم مجرمون فارون خارجون بوقاحة على العائلة والدين والنظام والمُلكيــة .
وفي الوقت نفسه ، ما كاد هذا المزور للوثائق يتسلم زمـــام السلطة حتى تعطف واطلق ، بعد ٤ ايلـول (سبتمبر) ، سراح كل من بيك وتايفر ، وكان كلاهما قد ادين بتهمة التزوير حتى في ظل الامبراطورية في القضية الشائنة المعروفة بقضية جريدة «Étendard» (٣٤) . وكان احد هذين السيدين ، تايفر ، وقحاً لدرجة انه عاد في عهد الكومونة الى باريس ولكن الكومونة اودعته السجن فوراً . وبعد هذا صاح جول فافر امام الملأ من على منبر الجمعية الوطنية ان الباريسيين يطلقون سراح جميع المجرمين !
ان ارنست بيكار – جـــو ميللر * حكومة الدفاع الوطني ، الذي عين نفسه وزيراً لمالية الجمهورية بعد ان جاهد على غير طائل ليفوز بمنصب وزير داخلية الامبراطوريـــة – هو شقيق المدعو ارتور بيكار – وهو شخص طرد من بورصة باريس لكونه نصاباً (انظر تقرير قيادة الشرطة المؤرخ في ٣١ تموز – يوليو عام ١٨٦٧) وادين باعترافه هو نفسه بسرقة ٣٠٠٠٠٠ فرنك ارتكبها حين كان مديراً لاحد فروع Société Générale (٣٥) ، شارع باليسترو رقم ٥ (انظر تقرير قيادة الشرطة المؤرخ في ١١ كانون الاول – ديسمبر عام ١٨٦٨) . وارتور بيكار هذا عينــــه ارنست بيكار محرراً لصحيفتــــه «Électeur libre» (٣٦) . وضللت الاكـاذيب الرسمية التي كانت تنشرها جريدة وزارة المالية هذه المضاربين البسطاء في البورصة ، بينما كان ارتور بيكار يركض دون انقطاع من البورصة الى الوزارة ومن الوزارة الى البورصة ويجني الارباح من كل هزيمة تمنى بهـــا الجيوش الفرنسية . وقد وقعت جميع المراسلات المالية بين هذين الاخوين الفاضلين في يدي الكومونة .

* ورد في الطبعتين الالمانيتين لسنة ١٨٧١ وسنة ١٨٩١ بدلا من «جو ميللر» اسم «كارل فوغت» ؛ وفي الطبعة الفرنسية لسنة ١٨٧١ – «فالستاف» . **الناشر** .

وجول فيري الذي كان محامياً خاوي الوفاض قبل ٤ ايلول (سبتمبر) ، توصل ابان فترة الحصار بوصفه رئيساً لبلدية باريس ، الى جني ثروة على حساب مجاعة العاصمة . واليوم الذي يطلب فيه منه تقديم حساب عن كيفية تصريفه الامور ، سيكون يوم ادانته .

ان هؤلاء الناس لم يستطيعوا الحصول على بطاقات اجازة [tickets-of-leave] * الا على اطلال باريس ؛ وكانوا عين الرجال الذين ارادهم بيسمارك . وتيير الذي كان حتى اليوم يرأس الحكومة سراً ظهر فجأة بعد عملية بسيطة في خلط اوراق اللعب على رأس هذه الحكومة ومعه المجرمون [ticket-of-leave men] وزراء فيها .

لقد خلب تيير ، هذا القزم الفظيع ، لب البرجوازية الفرنسية خلال نصف قرن تقريباً لأنه كان التعبير الفكري في اتم صوره عن فسادها الطبقي . وقبل ان يصبح من رجال الدولة كان قد اظهر مواهبه في الكذب بصفته مؤرخاً . ان سجل نشاطه الاجتماعي هو تاريخ مصائب فرنسا . كان قبل سنة ١٨٣٠ مرتبطاً بالجمهوريين ثم اندس في وظيفة الوزير في عهد لويس فيليب لخيانته حاميه لافيت . واستطاع استعطاف الملك بتحريض الغوغاء على القيام باعمال ضد رجال الدين ادت الى نهب كنيسة سان-جيرمين-لوسيروا ، وقصر رئيس الاساقفة ، وبالقيام بدور الوزير الجاسوس على الدوقة بيري (٣٧) والسجان المولد بالنسبة لها . وقد كانت مذبحة الجمهوريين في شارع ترانسنونين وما تلاها من القوانين الشائنة في ايلول (سبتمبر) ضد الصحافة وحق الجمعيات من تدبيره (٣٨) . وفي آذار (مارس) ١٨٤٠ ظهر من جديد على المسرح كرئيس للوزارة وادهش فرنسا كلها بمشروعه لتحصين

---

* في انجلترا يعطى المجرمون احياناً بعد ان يمضوا الجزء الاكبر من مدة محكوميتهم ، بطاقات اجازة ، يمكنهم ان يعيشوا بها خارج مكان الاعتقال ولكن تحت مراقبة الشرطة . وتسمى هذه البطاقات tickets-of-leave ويسمى اصحابها ticket-of-leave men . **(ملاحظة انجلس للطبعة الالمانية الصادرة في سنة ١٨٧١) .**

باريس (٣٩) . وقـــد رد ، في مجلس النواب ، على اتهامـــات الجمهوريين الذين اعتبروا هذا المشروع مؤامرة شريرة ضد حرية باريس كما يلي :

«كيف ؟ انكم تتصورون ان التحصينات ، ايا كانت ، قد تعرض في يوم من الايام الحرية للخطر ! انكم قبل كل شيء تفترون ، اذ تفترضون ان اية حكومة تجرؤ في يوم من الايام على قصف باريس بغية الاحتفاظ بالسلطة في يديها . . . ان هذه الحكومة تزداد استحالة بعد الانتصار مئة مرة عما قبله» .

نعم ، مـــا من حكومة تجرؤ على قصف باريس من الحصون سوى تلك الحكومـــة التي سبق ان سلمت هـــذه الحصـــون الى البروسيين .

وعندمـــا جرب الملك-القنبلة * بأسه في باليرمو (٤٠) في شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٤٨ ، القى تيير ثانية في مجلس النواب ، ولم يكن آنذاك وزيراً منذ وقت طويل ، الخطاب التالي :

«انكم تعلمون ، ايها السادة ، ماذا يحدث في باليرمو . انتم جميعا ترتجفون من الهلع» (بالمعنى البرلماني) «لدى سماعكم ان مدينة كبيرة تعرضت للقصف طيلة ٤٨ ساعة . ومن قصفها ؟ هل هو عدو اجنبي يمارس حقوق الحرب ؟ لا ، ايها السادة ، لقد فعلت ذلك حكومتها ذاتها . ولماذا ؟ لان هذه المدينة السيئة الطالع طالبت بحقوقها . فبسبب مطالبتها بحقوقها تعرضت لقصف المدفعية خلال ٤٨ ساعة . . . اسمحوا لي بأن اتوجه الى الرأي العام في اوروبا . اذا قمت وقلت عدة كلمات» (حقاً كلمـــات) «على مسمع الناس من على منبر قد يكون اعظم منبر في اوروبا ، كلمات السخط على هذه الاعمال ، – فان هذا سيكون مكرمة ازاء البشرية . . . عندما عزم الوصي اسبارتيرو الذي كان قد ادى خدمات لوطنه» (وهذا ما لم يفعله تيير ابداً) «على قصف مدينة برشلونة حتى يقمع الانتفاضة التي شبت فيهـــا ، ارتفعت اذ ذاك صيحة سخط عامة من جميـــع ارجاء الدنيا» .

بعد ثمانية عشر شهراً كان تيير في عداد اعنف المدافعين عن قصف روما بمدفعية الجيش الفرنسي (٤١) . ويبدو أن خطأ

---

* فرديناند الثاني . **الناشر** .

الملك-القنبلة كان ينحصر في الواقع في انه قصر قصفه للمدينة على ٤٨ ساعة فقط .

وقبل ثورة شباط (فبراير) بعدة ايام وكان تيير قد استبد به الغيظ لأن غيزو اقصاه طويلا عن الحكم والربح ، وشم في الجو اقتراب عاصفة شعبية ، صرح في مجلس النواب باسلوبه البطولي الزائف الذي سمي بسببه «Mirabeau-mouche» * :

«انا من حزب الثورة ليس في فرنسا فحسب بل في اوروبا باسرها . وانني لارجو ان تبقى حكومة الثورة في ايدي رجال معتدلين . . . ولكن لو انتقلت تلك الحكومة الى ايدي رجال مندفعين ، وحتى الى ايدي راديكاليين ، فلن اتخلى ، رغم هذا ، عن القضية التي اذود عنها . ساكون دائماً من حزب الثورة» .

وانفجرت ثورة شباط (فبراير) . وبدلا من ان تذهب الثورة بوزارة غيزو لتأتي بوزارة تيير عوضاً عنها ، كما كان يحلم الرجل الحقير ، استعاضت عن لويس فيليب بالجمهورية . وفي اليوم الاول من الانتصار الشعبي اختبأ تيير بعناية ناسياً ان احتقار العمال له كان ينقذه من كراهيتهم . وهذا البطل الجريء الذائع الصيت ظل يتحاشى الظهور على المسرح الاجتماعي الى ان طهرت مذبحة حزيران (يونيو) الاماكن لنشاط من هم على شاكلته . فاصبح حينذاك الزعيم الفكري لحزب النظام (٤٢) وجمهوريته البرلمانية – تلك الفترة التي لا اسم لها بين ملكيتين والتي كانت فيها جميع كتل الطبقة الحاكمة المتنافسة تتآمر سراً لسحق الشعب ويدس فيها الدسائس بعضها على البعض الآخر ليعيد كل منها الى الحكم الملكية التي يريدها . وحينذاك ، وكما يفعل الآن ، ادان تيير الجمهوريين بوصفهم العائق الوحيد امام اقامة الجمهورية على اسس وطيدة ؛ وحينذاك ، وكما يفعل الآن ، قال تيير للجمهورية بمثل ما قال الجلاد لدون كارلوس : «اني ساقتلك ، ولكن لخيرك انت» . وعليه الآن ، كما فعل حينذاك ، ان يهتف في اليوم الذي يلي انتصاره : L'Empire est fait – ان الامبراطورية قد انجزت . ان تيير ، رغم خطاباته المنافقة التي كان يرددها

---

* «ميرابو-الذبابة» . **الناشر** .

حول الحريات الضرورية ، وعداوته الشخصية للويس بونابرت الذي دجل عليه واطاح بالبرلمانية - وخارج جو البرلمانية الاصطناعي يتحول هذا الرجل الصغير الى لاشيء ، وهذا ما يعرفه - قد كانت له يد في جميع مخازي الامبراطورية الثانية : من احتلال الجنود الفرنسيين لروما الى الحرب مع بروسيا ؛ وقد حرض على هذه الحرب بحملاته المسعورة على وحدة المانيا التي لم ير فيها قناعاً للاستبداد البروسي بل خرقاً لحق فرنسا الثابت ببقاء المانيا مجزأة . وكان هذا القزم يحب ان يلوح بسيف نابليون الاول في وجه اوروبا . ففي مؤلفاته التاريخية لم يفعل غير ان مسح احذية نابليون . اما في الواقع فكانت سياسته الخارجية تؤدي دائماً الى اذلال فرنسا غاية الاذلال - ابتداء من اتفاقية لندن عام ١٨٤٠ (٤٣) الى استسلام باريس عام ١٨٧١ والحرب الاهلية الراهنة التي حرش فيها اسرى سيدان وميتز (٤٤) على باريس باذن خاص من بيسمارك . ورغم مرونة مواهبه وتقلب مساعيه ظل طيلة حياته روتينياً في غاية التحجر . ومن نافل الكلام تماماً ان اعمق التيارات التي تجري في المجتمع الحديث ظلت دائماً بالنسبة له لغزاً لا يمكن ادراكه ؛ ودماغه الذي انصرفت جميع قواه الى اللسان ، لم يستطع ان يدرك حتى اوضح التغيرات التي تحدث على سطح المجتمع . فهو ، مثلا ، لم يكل عن التنديد بكل انحراف عن نظام الحماية الجمركية الفرنسي البالي باعتبار هذا الانحراف تدنيساً للمقدسات . وعندما كان وزيراً عند لويس فيليب ، كان يسخر من السكك الحديدية ناعتاً اياها بانها وهم وضلال ، وعندما كان في صفوف المعارضة في عهد لويس بونابرت ، وصم كل محاولة لاصلاح النظام الفرنسي العسكري المتعفن بانها خرق للمقدسات . وابان اشتغاله الطويل بالنشاط السياسي لم يتخذ مطلقاً اي تدبير ذي فائدة عملية الى هذا الحد او ذاك وان اصغر التدابير . كان تيير وفياً لشيء واحد فقط هو عطشه الذي لا يروى الى الثروة وكرهه للناس الذين يخلقون هذه الثروة . كان فقيراً كأيوب (٤٥) حين دخل الوزارة للمرة الاولى في عهد لويس فيليب ولكنه خرج منها وهو من اصحاب الملايين . واثناء رئاسته الاخيرة للوزارة في عهد الملك المذكور (ابتداء من اول

آذار (مارس) سنة ١٨٤٠) اتهم علناً في مجلس النواب باختلاس اموال الخزينة . ورداً على هذه التهمة اكتفى بذرف الدموع – وهو رد رخيص ، تحجج به بسهولة جول فافر وكل تمساح آخر . وفي بوردو ، كان اول اجراء اتخذه تيير لانقـــاذ فرنسا من الافلاس المالي المحدق بها هو تخصيص ثلاثة ملايين لنفسه مرتباً سنوياً ؛ وكانت هذه الكلمة الاولى والاخيرة في تلك «الجمهورية المقتصدة» التي كشف آفاقها امام ناخبيه الباريسيين سنة ١٨٦٩ . وفي الآونة الاخيرة عمد السيد بيله ، احد زملائه السابقين في مجلس النواب سنة ١٨٣٠ ، وهو نفسه من الرأسماليين ولكنه مع ذلك عضو مخلص من اعضاء الكومونة ، ووجه الكلمات التالية الى تيير في احد منشوراته العلنية :

«ان استعباد العمل من قبل الرأسمـــال كان دائماً حجر الزاوية لسياستك . ومنذ ان استقرت في بلدية باريس جمهورية العمل ، وانت لا تفتأ تصرخ في اذن فرنسا : ها هم المجرمون !»

استاذ في اعمال النصب الحقيرة بحق الدولة ، فنان في الحنث والخيانة ، ابن حرفة في الدسائس المبتذلة والحيل الدنيئة والمكر الشائن لنضال الاحزاب البرلماني ، لا يتورع عن اشعـــال الثورة عندما يطير من منصبه ، وعن اغراقها في الدماء عندما يتولى زمام الحكم ؛ مملوء بالاوهام الطبقية بدلا من الافكار ، وبالزهو بدلا من القلب ، حياته الخاصة شائنة بقدر ما هي حياته الاجتماعية كريهة ، وهو حتى في الوقت الحاضر يقوم بدور سولا" فرنسي ، ولا يستطيع امتناعاً عن ابراز قبح افعاله بغطرسته المضحكة .

ان عملية استسلام باريس ، بتسليمها لبروسيا لا باريس وحدها بل فرنسا برمتها ، قد اختتمت سلسلة طويلة من دسائس الخيانة مع العدو ، وهي الدسائس التي بدأها مغتصبو الرابع من ايلول (سبتمبر) ، كما قال تروشو نفسه ، يوم اغتصابهم السلطة . ومن ناحيـــة اخرى دشن هذا الاستسلام الحرب الاهليـــة التي شنوها فيما بعد بمساعدة بروسيا ضد الجمهورية وضد باريس . وقد نصبت المصيدة في شروط الاستسلام ذاتها . في ذلك الوقت كان ما يزيد عن ثلث اراضي البلاد في يد العدو ، وكانت العاصمة

معزولة عن باقي البلاد وكانت جميع طرق المواصلات مختلة . في هذه الظروف كان انتخاب اشخاص يستطيعون ان يمثلوا فرنسا تمثيلا حقيقياً امراً مستحيلا دون الوقت الكافي للتحضير المناسب . ولهذا السبب بالضبط عين نص الاستسلام مدة اسبوع لانتخاب الجمعية الوطنية ، حتى ان انباء الانتخابات المزمع اجراؤها لم تصل الى كثير من انحاء فرنسا الا عشية الانتخابات ذاتها . ثم ان هذه الجمعية كان سيجري انتخابها ، بمقتضى بند خاص من اتفاقية الاستسلام ، لغرض واحد فقط هو البت في امر السلم والحرب ، وعقد معاهدة الصلح عند الاقتضاء . وكان لا بدّ للسكان ان يشعروا بان شروط الهدنة جعلت مواصلة الحرب امراً مستحيلا وبان اسوأ رجال فرنسا كانوا انسبهم من اجل عقد الصلح الذي فرضه بيسمارك . بيد ان تيير لم يكتف بهذه الاحتياطات ، بل قام ، قبل ان يبلغ باريس سر الهدنة ، بجولة انتخابية في ارجاء البلاد حتى يعيد الى الحياة جثة حزب الليجيتيميين ؛ وكان على هذا الحزب ان يأخذ مع الاورليانيين مكان البونابرتيين الذين اصبحوا في ذلك الحين غير مقبولين . لم يكن يخشى الليجيتيميين . وبما انه كان من المستحيل ان يشكل هؤلاء حكومة لفرنسا الحديثة ، فقد كانوا لهذا السبب لا وزن لهم كمنافسين ؛ وكل نشاط هذا الحزب ، كما قال تيير نفسه (في مجلس النواب في ٥ كانون الثاني — يناير — سنة ١٨٣٣) ،

«كان يستند دائما الى دعائم ثلاث : الغزو الاجنبي والحرب الاهلية والفوضى» .

ولذلك كان هذا الحزب انسب اداة في يد الثورة المضادة . ان الليجيتيميين آمنوا عن جد وبفارغ الصبر بعودة ملكهم الذي دام الف سنة . وفي الواقع ، قُذفت فرنسا ثانية تحت اقدام الاعداء الاجانب ، وأُسقطت الامبراطورية من جديد ، ووقع بونابرت في الاسر مرة اخرى وبُعث الليجيتيميون احيـــاء . ان عجلة التاريـخ دارت ، كما يبدو ، الى الوراء لتصل الى «chambre introuvable» لسنة ١٨١٦ (٤٦) . كان الليجيتيميون يمثلهم في الجمعيات الوطنية في عهد الجمهورية من ١٨٤٨ الى ١٨٥١ رجال متعلمون ومجربـــون

في النضال البرلماني ؛ اما الآن فقد ظهرت في المقام الاول شخصيات عادية من حزبهم - جميع بورسونياكيي (٤٧) فرنسا .

وحالما انعقد في بوردو «مجلس الملاكين العقاريين» (٤٨) هذا ، اعلن تيير ان هذا المجلس لا يستحق شرف اجراء المناقشات البرلمانية وان عليه ان يوافق فوراً على شروط الصلح التمهيدية باعتبار ذلك الشرط الوحيد الذي تسمح بروسيا بمقتضاه بدء الحرب ضد الجمهورية وضد باريس - حصنها . والواقع ان الثورة المضادة لم يكن لديها وقت للتفكير طويلا . فالامبراطورية الثانية كانت قد زادت دين الدولة الى اكثر من مرتين ، وكانت جميع المدن الكبيرة ترزح تحت الديون البلدية الثقيلة . والحرب ضخمت الديون لاقصى حد واستنفدت موارد الامة على نحو فظيع . وفضلا عن ذلك كان شايلوك (٤٩) البروسي يقف على ارض فرنسا وفي يده سندات لاعالة نصف مليون من جنوده ، وهو يطلب دفع غرامة حربية تبلغ خمسة مليارات (٥٠) وفائدة قدرها ٥ بالمئة جزاء على ما لا يدفع في الموعد المعين . ومن كان يجب عليه ان يدفع كل ذلك ؟ كان قلب الجمهورية بالعنف هو السبيل الوحيد الذي استطاع متملكو الثروة ان يلقوا بواسطته اعباء الحرب التي شنوها بانفسهم ، على عاتق منتجي هذه الثروة . وهكذا ، فان دمار فرنسا الذي لم ير له مثيل من قبل ، حفز اولئك الوطنيين - ممثلي ملكية الارض والرأسمال - تحت بصر المغتصب الاجنبي ورعايته السامية ، على ان يكللوا الحرب الخارجية بحرب اهلية ، بعصيان مالكي العبيد .

بيد انه كانت تقف في طريق هذه المؤامرة عقبة واحدة كأداء هي باريس . ان نزع سلاح باريس كان اول شروط النجاح . ولذلك طلب تيير من باريس ان تسلم سلاحها . فقد تم تدبير كل شيء لكي تفقد باريس صبرها : اطلق «مجلس الملاكين العقاريين» صيحات مسعورة معادية للجمهورية ؛ وتكلم تيير نفسه بصورة مبهمة جداً حول حق الجمهورية في الوجود ؛ وكانت باريس عرضة للتهديد بقطع رأسها وبحرمانها من ان تظل عاصمة للبلاد ؛ وعين الاورليانيون سفراء؛ ومرر دوفور قوانينه بشأن سندات الدين وبدلات الايجار المستحقة وكانت قوانين تهدد بنسف تجارة باريس

وصناعتها من الاساس ؛ وبالحاح من بويه-كيرتيه ، فرضت ضريبة السنتيمين على كل نسخة من اية مطبوعة كانت ؛ وحُكم على بلانكي وفلورانس بالموت ؛ وعطلت الصحف الجمهورية ؛ ونُقلت الجمعية الوطنية الى فرساي ؛ وجددت حالة الحصار التي اعلنها باليكاو والتي كانت قد رفعتها حوادث ٤ ايلول (سبتمبر) ؛ وعين فينوا ، décembriseur (٥١) ، حاكماً على باريس ، وفالانتين ، الدركي البونابرتي ، مديراً للشرطة ، واوريل دي بالادين ، الجنرال اليسوعي ، قائداً عاماً لحرس باريس الوطني .

والآن علينا ان نوجه سؤالا الى المسيو تيير واعضاء حكومة الدفاع الوطني العاملين تحت امرته . من المعروف ان تيير قد عقد قرضاً قيمته ملياران بوساطة بويه-كيرتيه وزير ماليته . والآن أصحيح ام لا :

١) ان الامر دبر على نحو اوصل ، «مقابل الوساطة» ، عدة مئات من الملايين الى جيب كل من تيير وجول فافر وارنست بيكار وبويه-كيرتيه وجول سيمون ؟

٢) انهم تعهدوا بالتسديد بعد «تهدئة» باريس فقط (٥٢) ؟

وعلى اية حال كان هناك شيء يجعلهم مستعجلين جداً في البت بهذه القضية لأن تيير وجول فافر الحا ، دون اي خجل ، وباسم اكثرية الاعضاء في جمعية بوردو ، على احتلال الجنود البروسيين الفوري لباريس . بيد ان هذا لم يدخل في حسابات بيسمارك ، كما قال هازئاً وجهاراً لدن عودته الى المانيا ، امام التافهين الضيقي الافق المندهشين في فرانكفورت .

٢

كانت باريس **المسلحة** هي العائق الخطير الوحيد في طريق مؤامرة الثورة المضادة . وكان لا بدّ لذلك من تجريد باريس من السلاح . وبصدد هذه المسألة ، ابدى مجلس بوردو رأيه بكل صراحة . وحتى لو لم تكن جلبة نواب «مجلس الملاكين العقاريين» المسعورة تقدم الدليل الواضح على ذلك ، فان قيام تيير بوضع باريس تحت امر الثالوث : فينوا décembriseur ، وفالانتين

الدركي البونابرتي ، واوريل دي بالادين الجنرال اليسوعي ، لم يبق موضعاً لادنى شك . والمتآمرون ، الذين اعلنوا بوقاحة عن المعنى الحقيقي لتجريد باريس من السلاح ، طالبوها بالقاء السلاح متخذين لذلك ذريعة كانت كذبة في غاية الفظاظة والوقاحة . قال تيير ان مدفعية الحرس الوطني في باريس هي ملك الدولة ولذلك ينبغي ان تعاد الى الدولة . اما الوقائع فهي كما يلي : كانت باريس ساهرة منذ اليوم الاول لاتفاقية الاستسلام التي سلم اسرى بيسمارك وفق شروطها فرنسا له ، ولكنهم اشترطوا بان يحتفظوا لانفسهم بحرس خاص كبير العدد لقصد صريح هو اخضاع باريس . اعاد الحرس الوطني تنظيم نفسه واناط امر القيادة العليا بلجنة مركزية انتخبها افراد الحرس الوطني جميعاً ، ما عدا بعض بقايا التشكيلات البونابرتية القديمة . وعشية دخول البروسيين الى باريس ، اتخذت اللجنة المركزية الاجراءات لنقل المدافع والمدافع الرشاشة التي تركها capitulards عن خيانة في الاحياء نفسها التي كان البروسيون سيحتلونها او التي على مقربة منها ، الى مونمارتر وبيلفيل ولافيليت . وكانت تلك المدفعية قد انشئت بالمبالغ التي جمعها الحرس الوطني ذاته . واعترف بها رسمياً ملكاً خاصاً للحرس الوطني في اتفاقية الاستسلام في ٢٨ كانون الثاني (يناير) ، وبهذه الصفة لم تدرج في عداد اسلحة الدولة الواجب تسليمها الى المنتصر . لم يكن لدى تيير ادنى ذريعة لبدء الحرب ضد باريس، ولذلك اضطر الى اللجوء الى تلك الكذبة الفاضحة وهي ان مدفعية الحرس الوطني هي ملك للدولة !

والظاهر ان الاستيلاء على المدفعية كان مجرد اشارة لتجريد باريس تجريداً عاماً من السلاح ، وبالتالي لتجريد ثورة ٤ ايلول (سبتمبر) من السلاح ايضاً . بيد ان هذه الثورة قد اصبحت الوضع القانوني لفرنسا . فالجمهورية ، نتيجة هذه الثورة ، اعترف بها المنتصر في نص اتفاقية الاستسلام . وبعد الاستسلام اعترفت بها جميع الدول الاجنبية ، وباسمها دعيت الجمعية الوطنية الى الانعقاد . ان ثورة عمال باريس في ٤ ايلول كانت الاساس القانوني الوحيد للجمعية الوطنية في بوردو ولسلطتها

التنفيذية . ولولا ثورة ٤ ايلول ، لترتب على هذه الجمعية الوطنية ان تتنازل فوراً عن مكانها للهيئة التشريعية التي تم انتخابها عام ١٨٦٩ على اساس الحق الانتخابي العام في ظل الحكم الفرنسي ، لا البروسي والتي حلتها الثورة بالعنف فيما بعد . ولكان على تيير وزمرته ان يستسلموا من اجل الحصول على صكوك امان موقعة من لويس بونابرت تنقذهم من رحلة الى كايينا (٥٣) . ان الجمعية الوطنية مع التفويض الذي تحمله لعقد الصلح مع بروسيا لم تكن الا حادثاً من حوادث الثورة ، اما تجسيدها الحقيقي فكان ، على كل حال ، باريس المسلحة ، باريس التي حققت هذه الثورة والتي تحملت في سبيلها حصاراً دام خمسة اشهر مع ما رافقه من فظائع المجاعة ، باريس التي اتاحت بمقاومتها الطويلة ، رغم مشروع تروشو ، ان تقوم الاقاليم بحرب دفاعية عنيدة . وكان على باريس هذه الآن اما ان تنزع سلاحها نزولا على امر مهين من مالكي العبيد المتمردين في بوردو وتقر بأن ثورة ٤ ايلول (سبتمبر) التي قامت بها ، لم تعن شيئاً سوى نقل بسيط للسلطة من لويس بونابرت الى المدعين الآخرين بالعرش ، واما ان تناضل بنكران الذات لاجل قضية فرنسا التي لا يمكن انقاذها من الانحطاط التام وبعثها الى حياة جديدة الا عن طريق التحطيم الثوري لتلك الاوضاع السياسية والاجتماعية التي ادت الى الامبراطورية الثانية وبلغت ، تحت رعايتها ، منتهى العفونة . ان باريس التي اضنتها المجاعة خلال خمسة اشهر لم تتردد لحظة واحدة . لقد كانت مليئة عزماً بطولياً على اجتياز جميع مخاطر النضال ضد المتآمرين الفرنسيين ، رغم المدافع البروسية التي كانت تهددها من قلاعها هي . غير ان اللجنة المركزية ، بدافع من مقتها للحرب الاهلية التي حاولوا فرضها على باريس ، ظلت تلتزم خطة دفاعية بحتة ، ضاربة عرض الحائط باستفزازات الجمعية الوطنية وتدخل السلطة التنفيذية عنوة واغتصاباً وحشد الجيوش على نحو خطر في باريس وحولها .

وها هو تيير قد بدأ الحرب الاهلية : انه ارسل فينوا على رأس قوة كبيرة من الشرطة وعدة افواج من افواج الميدان في

حملة لصوصية ليلية الى مونمارتر ليستولوا هناك على مدفعية الحرس الوطني بصورة مباغتة . ويعرف الجميع ان هذه المحاولة قد أُحبطت بفضل مقاومة الحرس الوطني وبفضل تآخي الجنود مع الشعب . كان اوريل دي بالادين قد طبع مسبقاً بيان النصر كما اعد تيير الاعلانات التي تخبر عن الاجراءات التي اتخذها للقيام بـ coup d'état * . اما الآن فكان لا بدّ من الاستعاضة عن هذه الاعلانات ببيان يعلن عزم تيير الكريم على ان يمنح الحرس الوطني سلاحه بالذات . وبهذا السلاح ، كما اعلن تيير ، سيلتف الحرس الوطني بلا ريب حول الحكومة من اجل النضال ضد المتمردين . ومن اصل جنود الحرس الوطني الـ ٣٠٠٠٠٠ استجاب ٣٠٠ فقط لنداء تيير الصغير بالالتفاف حوله قصد الدفاع عنه ضد انفسهم . ان ثورة العمال المجيدة في ١٨ آذار (مارس) حكمت باريس لا ينازعها منازع . وكانت اللجنة المركزية هي حكومتها الموقتة . وبدا ان اوروبا قد ساورها الشك ، لحظة من اللحظات ، في حقيقة وقوع الحوادث السياسية والحربية المدهشة الاخيرة التي جرت امام عيونها : أليس ذلك حلماً من احلام الماضي السحيق .

منذ ١٨ آذار (مارس) وحتى دخول جنود فرساي الى باريس ظلت ثورة البروليتاريا خالية من اعمال العنف التي تتسم بها الثورات ولا سيما الثورات المضادة التي تقوم بها «الطبقات العليا» ، لدرجة ان اعداءها لم يستطيعوا ان يجدوا اية ذريعة لاستيائهم سوى اعدام الجنرالين ليكونت وكليمان توما ، والاصطدام في ميدان فندوم .

كان احد الضباط البونابرتيين الذين اشتركوا في الحملة الليلية ضد مونمارتر ، وهو الجنرال ليكونت ، قد اصدر اوامره اربع مرات الى فوج الميدان الحادي والثمانين باطلاق النار على جمع من الناس العزل في ميدان بيغال ؛ وعندما رفض الجنود تنفيذ اوامره ، اهانهم اهانة بذيئة . وبدلا من تسديد السلاح الى النساء والاطفال ، اعدمه جنوده بالرصاص . ان العادات

* — انقلاب . **الناشر** .

الراسخة التي تأصلت في الجنود في مدرسة اعداء الطبقة العاملة ، لا يمكنها ، طبعاً ، ان تزول دون ان تترك اي اثر في ساعة انتقالهم الى جانب العمال . كذلك اعدم الجنود انفسهم بالرصاص الجنرال كليمان توما .

«الجنرال» كليمان توما ، نقيب عسكري سابق ساخط على وضعه في المجتمع ، وقد صار في السنوات الاخيرة من عهد ملكية لويس فيليب يخدم في مكتب تحرير الجريدة الجمهورية «National» (٥٤) ، وكان يؤدي هناك دوراً مزدوجاً : دور المحرر المسؤول الاسمي (gérant responsable) ودور المبارز الدائم لهذه الجريدة الشكسة للغاية . وبعد ثورة شباط (فبراير) عمد رجال «National» ، وقد تسلموا السلطة ، الى تحويل هذا النقيب السابق جنرالا . حدث ذلك عشية مذبحة حزيران (يونيو) ، وكان احد المتآمرين الاشرار ، وكان ، مثل جول فافر ، قد استثار هذه المذبحة ولعب فيها دور الجلاد الاشد قباحة . ثم اختفى بعد ذلك ، هو ولقبه الجنرالي ، ردحاً طويلا من الزمن حتى عاد الى الظهور من جديد في الاول من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٧٠ . قبل ذلك اليوم كانت حكومة الدفاع ، وقد أُسرت في بناية البلدية ، قد قطعت عهداً موثقاً على نفسها ، امام بلانكي وفلورانس وغيرهما من ممثلي العمال ، بأن تتخلى عن سلطتها المغتصبة وتضعها بين يدي كومونة (٥٥) تقوم باريس بانتخابها انتخاباً حراً . وبدلا من ان تفي بعهدها استعدت على باريس بريتانيي تروشو الذين حلوا الآن محل كورسيكيي بونابرت (٥٦). بيد ان الجنرال تاميزيه وحده لم يشأ ان يلطخ نفسه بمثل هذا النكوث بالعهد ورفض ان يتولى منصب القائد العام للحرس الوطني . واصبح كليمان توما الذي حل محله ، جنرالا للمرة الثانية . وطوال الفترة التي تولى فيها القيادة ، شن الحرب لا على البروسيين بل على الحرس الوطني في باريس . فقد قاوم بكل قواه تسليحه تسليحاً عاماً وحرش كتائب البرجوازيين على كتائب العمال وابعد الضباط الذين لا يؤيدون «مشروع» تروشو وسرح الكتائب البروليتارية متهماً اياها بتهمة الجبن ، وهي الكتائب البروليتارية نفسها التي تثير الآن ببطولتها دهشة ألدّ اعدائها .

وتباهى كليمان توما شديد التباهي بانه تسنى له من جديد ان يثبت عداوته الشخصية حيال بروليتاريا باريس ، تلك العداوة التي تجلت بقوة خارقة في مذبحة حزيران (يونيو) سنة ١٨٤٨ . وقبل ١٨ آذار (مارس) بايام قليلة ، عرض على ليفلو وزير الحربية ، خطة من وضعه «للاجهاز على la fine fleur (الصفوة) من canaille * باريس بصورة تامة نهائية» . وبعد هزيمة فينوا ، لم يتماسك عن الظهور على المسرح بصفة جاسوس هاو . ان اللجنة المركزية وعمال باريس كانوا مسؤولين عن مصرع كليمان توما وليكونت بقدر ما كانت اميرة ويلس مسؤولة عن هلاك الناس الذين ديسوا حتى الموت يوم دخولها الى لندن .

اما مذبحة المواطنين العزل في ميدان فندوم فهي خرافة ليس بالصدفة ان لازم عنها تيير و«مجلس الملاكين العقاريين» الصمت المطبق ، واوكلوا امر اذاعتها الى خدم الصحافة الاوروبية . لقد ارتجف «رجال النظام» ، رجعيو باريس ، فرقاً من نبأ النصر الذي احرز في ١٨ آذار (مارس) . فقد كان بالنسبة لهم ، اخيراً ، دنو ساعة انتقام الشعب . وانتصبت امام انظارهم اشباح الضحايا التي اغتالتها ايديهم من ايام حزيران (يونيو) سنة ١٨٤٨ حتى ٢٢ كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٧١ (٥٧) . غير ان فرقهم كان عقابهم الوحيد . فرجال الشرطة بدلا من ان ينزع سلاحهم ويقبض عليهم ، كما كان ينبغي ان يُفعل ، فتحت امامهم ابواب باريس على مصاريعها لينسحبوا منها بسلامة الى فرساي . ولم يترك «رجال النظام» وشأنهم فحسب ، بل اتيحت لهم امكانية الاتحاد والاستيلاء بلا عائق على الكثير من المواقع القوية في قلب باريس بالذات . هذا التساهل الذي ابدته اللجنة المركزية وهذه السماحة التي اظهرها العمال المسلحون ، وهما صفتان غريبتان تماماً عن طباع حزب النظام ، اعتبرهما هذا الاخير من دواعي ادراك العمال لضعفهم . ولهذا السبب نشأت لدى حزب النظام خطة حمقاء — محاولة التوصل الى ما عجز فينوا عن التوصل اليه بمدافعه والمدافع الرشاشة ، وذلك تحت قناع مظاهرة غير

---

* — اوغاد . **الناشر** .

مسلحة ، كما زعموا . ففي ٢٢ آذار (مارس) ظهر جمع صاخب من «السادة المتأنقين» من اغنى احياء المدينة ، وفي صفوفه petits crevés * على انواعهم وعلى رأسهم ارباء الامبراطورية المعروفون جيداً امثال هيكرين وكوتلوغون وهنري دي بين . وتحت ستار الادعاء الجبان باعتزام القيام بمظاهرة سلمية ، سار هؤلاء الاوباش ، الذين كانوا مسلحين سراً باسلحة الاشقياء ، وشرعوا يهينون دوريات الحرس الوطني وخفراءه ممن صادفوهم اثناء تقدمهم ويجردونهم من السلاح . ولدى نزولهم من شارع دى لابيه وهم يصرخون : «لتسقط اللجنة المركزية ! ليسقط القتلة ! عاشت الجمعية الوطنية !» . حاولوا ان يخترقوا خط المخافر وان يستولوا بصورة مباغتة على مقر قيادة الحرس الوطني في ميدان فندوم . وجواباً على طلقات مسدساتهم صدرت اليهم sommations المعتادة (معادل فرنسي للقانون الانجليزي بصدد المخالفات) (٥٨) ، وعندما ثبت عدم جدواها ، اصدر جنرال الحرس الوطني** الامر باطلاق النار . وما ان انطلق وابل واحد من النيران حتى تبعثر هذا الجمع من المأفونين وولوا الادبار لا يلوون على شيء وهم الذين تصوروا ان يكون لمجرد ظهور «المقامات الموقرة» من الاثر على ثورة باريس مثلما كان لابواق يشوع بن نون على اسوار اريحا (٥٩) . وقد قتل السادة الذين ولوا الادبار اثنين من جنود الحرس الوطني واصابوا تسعة منهم بجراح بليغة (وبينهم احد اعضاء اللجنة المركزية***) ، وكان المكان الذي اجترحوا فيه مأثرتهم هذه مغطى كله بالمسدسات والخناجر والعصي ذات النصال وغير ذلك من المضبوطات التي تدل على الطابع «غير المسلح» لمظاهرتهم «السلمية» . وعندما قام الحرس الوطني في ١٣ حزيران (يونيو) سنة ١٨٤٩ بمظاهرة سلمية حقاً ، احتجاجاً على الهجوم اللصوصي الذي شنه الجنود الفرنسيون على روما ، رحبت الجمعية الوطنية وتيير بوجه خاص ، بشانغارنييه

* ــ غنادرة . **الناشر** .

** برجيره . **الناشر** .

*** مالجورنال . **الناشر** .

الذي كان جنرالا لحزب النظام آنئذ ، بوصفه منقذاً للمجتمع لانه دفع جنوده الى الانقضاض من جميع الجهات ، على الجمهور غير المسلح ، يرمونه بالرصاص ويضربونه بالسيوف ويطأونه بحوافر خيولهم . وحينذاك فُرضت على باريس حالة الحصار . واستعجل دوفور سن قوانين جائرة جديدة في الجمعية الوطنية ؛ وبدأت سلسلة جديدة من حملات الاعتقال والنفي ، بدأ عهد جديد من الارهاب . ولكن «الطبقات الدنيا» تدبر الامور في مثل هذه الحالات على نحو مختلف . لقد تجاهلت اللجنة المركزية لسنة ١٨٧١ ابطال «المظاهرة السلمية» حتى انهم استطاعوا ، بعد يومين اثنين ، ان ينظموا ، تحت امرة الاميرال سيسيه ، مظاهرة **مسلحة** انتهت بالفرار المذعور الشهير الى فرساي . ان اللجنة المركزية قد ارتكبت آنذاك خطأ مشؤوماً بما ابدته من عناد في عدم رغبتها في مواصلة الحرب الاهلية التي بدأها تيير بالحملة اللصوصية ضد مونمارتر . كان يجب الزحف فوراً على فرساي التي لم تكن تملك اذ ذاك وسائل للدفاع — والقضاء نهائياً على مؤامرات تيير ومجلسه ، «مجلس الملاكين العقاريين». وبدلا من ذلك ، سُمح لحزب النظام مرة اخرى بان يختبر قوته في ٢٦ آذار (مارس) ، يوم انتخاب الكومونة . ففي ذلك اليوم تبادل «رجال النظام» في دور بلديات دوائر باريس كلمات المصالحة مع المنتصرين عليهم ذوي الشهامة الفائقة ، بينما كانوا يقسمون في الكتمان على ان ينتقموا في الوقت المناسب انتقاماً دموياً من المنتصرين .

لنلق الآن نظرة الى الوجه الخلفي من الوسام . قام تيير بحملة ثانية ضد باريس في اوائل نيسان (ابريل) . اللفيف الاول من الاسرى الباريسيين الذين جلبوا الى فرساي تعرض لمعاملة فظيعة مريعة . كان ارنست بيكار يتمشى هنا وهناك بين صفوفهم ، ويداه في جيبي سرواله ، مستهزئاً بهم ؛ اما مدام تيير ومدام فافر فكانتا ، وسط حاشية الشرف (؟) النسائية ، تصفقان من الشرفة للاعمال المنكرة التي يقترفها رعاع فرساي . وجنود افواج الميدان الذين وقعوا في الاسر قتلوهم رمياً بالرصاص بلا شفقة . وصديقنا الشجاع الجنرال دوفال ، سباك الحديد ، قتل

رمياً بالرصاص دون محاكمة . وغاليفه ، «قواد» زوجته التي نالت شهرة واسعة بعرض جسمها بصورة ماجنة عديمة الحياء في حفلات التهتك زمن الامبراطورية الثانية ، تبجح في منشور اصدره بانه امر بقتل شرذمة صغيرة من جنود الحرس الوطني مع رئيسها وملازمها ، كان جنوده القناصة قد باغتوها على حين غرة وجردوها من سلاحها . وفينوا الذي فر من باريس ، منحه تيير الصليب الكبير من وسام جوقة الشرف لانه اصدر امراً عاماً بان يقتل رمياً بالرصاص كل جندي من جنود الميدان يضبط وهو في صفوف الكومونيين . كما انعم على الدركي ديماره بوسام لانه قام غدراً ، وكما يفعل الجزارون ، بتقطيع جسد فلورانس ، ذلك الفارس الهمام الذي انقذ رؤوس اعضاء حكومة الدفاع الوطني (٦٠) في ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٨٧٠ . وقد اسهب تيير في التحدث ببهجة صريحة في احدى جلسات الجمعية الوطنية عن «التفصيلات المشجعة» لهذا القتل . وبخيلاء منفوخة يتسم بها الصبي القزم البرلماني الذي يسمح له بان يؤدي دور تيمورلنك، انكر على الناس الثائرين على عظمته القزمية ، حق الطرف المحارب ولم يرغب حتى في مراعاة الحياد بالنسبة لمراكزهم للاسعاف . ولم يكن هناك ما هو اشنع من ذلك القرد الذي منح ، لوقت ما ، السلطة لترضية غرائزه ، غرائز النمر ، القرد-النمر الذي رسم فولتير * صورته (انظر الملحقين ، ص ٣٥ * *) .

وبعد المرسوم الذي اصدرته الكومونة في ٧ نيسان (ابريل) وامرت فيه بالاجراءات الانتقامية واعلنت فيه ان من واجبها «ان تحمي باريس من اعمال أكلة لحوم البشر من قطاع الطرق في فرساي وان تجازي العين بالعين والسن بالسن» (٦١) ، لم يتنازل تيير عن شيء في معاملته الهمجية للاسرى ؛ بل ظل يسخر منهم ويكتب في نشراته كما يلي : «لم يسبق قط ان رأت عيون الناس الشرفاء الحزينة ممثلين للديموقراطية غير الشريفة اقل شرفاً» ، — عيون الناس الشرفاء من امثال تيير ورجال عصبته

---

* فولتير . «كانديد» ، الفصل ٢٢ . **الناشر .**

* * راجع هذا الكتاب : ص ٨٩ . **الناشر .**

ممن يلعبون دور الوزراء . ومع هذا فان قتل الاسرى رمياً بالرصاص قد توقف لفترة من الزمن . ولكن ما كاد تيير وجنرالاته – ابطال انقلاب ديسمبر – يعلمون بان مرسوم الكومونة باتخاذ الاجراءات الانتقامية لم يكن سوى تهديد بسيط ، بل ان جواسيس الدرك الذين قبض عليهم في باريس متنكرين بملابس الحرس الوطني وحتى رجال الشرطة الذين القي عليهم القبض وفي حوزتهم قذائف محرقة قد تركوا وشأنهم – ما كادوا يعلمون بذلك حتى استأنفوا قتل الاسرى بالجملة رمياً بالرصاص وواصلوه دون انقطاع الى النهاية . والبيوت التي اختبأ فيها رجال الحرس الوطني قام الدركيون بتطويقها وصبوا عليها الكاز (واستعمل هنا الكاز للمرة الاولى في هذه الحرب) ثم اشعلوا فيها النيران ؛ فيما بعد قامت فصيلة الممرضين التابعة لرجال الصحافة باخراج الجثث المتفحمة في حي تيرن . اربعة من رجال الحرس الوطني الذين استسلموا الى شرذمة من الفرسان القناصة عند بيل-ابين في ٢٥ نيسان (ابريل) قتلوا رمياً بالرصاص ، الواحد تلو الآخر ، من قبل رئيس هؤلاء القناصة ، وهو من خدم غاليفه الافاضل . وقد تمكن احد هؤلاء الجنود من الحرس الوطني ، شيفير ، وكانوا قد تركوه ظناً بانه قد مات ، من ان يزحف بصعوبة عائداً الى المخافر الباريسية الامامية وقرر هذا الواقع امام لجنة من لجان الكومونة . وعندما استجوب تولين بشأن تقرير هذه اللجنة ، ليفلو وزير الحربية ، اغرق نواب «مجلس الملاكين العقاريين» صوته بالصياح ومنعوا ليفلو من الجواب : انه لمن الاهانة لجيشهم «المجيد» التحدث عن افعاله المجيدة . فان اللهجة المتعالية التي اعلنت بها نشرات تيير قتل الكومونيين الذين بوغتوا ، وهم نيام ، في مولان-ساكه ، طعناً بالحراب ، والقتل الجماعي رمياً بالرصاص في كلامار قد صدمت اعصاب حتى جريدة «Times» اللندنية (٦٢) التي لا تتسم عادة بحساسية كبيرة . ولكن من العبث ان يحاول المرء ان يعد الآن جميع الفظائع – ولم تكن هذه سوى البداية – التي اقترفها اولئك الذين قصفوا باريس بالمدافع ، فظائع مثيري عصيان مالكي العبيد الذين كان يحميهم الفاتح الاجنبي . وفي غمار هذه

الاهوال جميعاً كان تيير ، وقد نسي جمله البرلمانية حول المسؤولية الهائلة الملقاة على كتفي هذا القزم ، يتبجح في نشراته بان l'Assemblée siège paisiblement (الجمعية تعقد جلساتها بسلام) ويثبت بحفلات الغداء المستمرة التي كان يقيمها تارة مع جنرالاته ، ابطال انقلاب كانون الاول (ديسمبر) ، وطوراً مع الامراء الالمان ، ان عملية الهضم عنده لم تضطرب حتى من شبحي ليكونت وكليمان توما .

٣

في صباح ١٨ آذار (مارس) عام ١٨٧١ ، صحت باريس على صيحة كقصف الرعد : «Vive la Commune !» * . فما هي الكومونة ، ابو الهول ذاك الذي طرح هذا اللغز الصعب على العقول البرجوازية ؟

كتبت اللجنة المركزية في بيانها عن ١٨ آذار (مارس) ما يلي : «ان بروليتاريي باريس ادركوا ، اذ رأوا تهافت الطبقات السائدة وخيانتها ، انه قد ازفت الساعة التي يترتب عليهم فيها ان ينقذوا الوضع بان يأخذوا بايديهم ادارة الشؤون العامة . . . لقد ادركوا ان هذا الواجب الآمر ملقى على عاتقهم وان من حقهم الاكيد ان يجعلوا انفسهم سادة لمصائرهم الخاصة ويأخذوا السلطة الحكومية في ايديهم» .

بيد ان الطبقة العاملة ليس في وسعها ان تستولي ببساطة على الاداة الحكومية الجاهزة وان تسيرها لمقاصدها الخاصة .

ان سلطة الدولة المتمركزة مع اجهزتها المنتشرة في كل مكان والقائمة على مبدأ تقسيم العمل تقسيماً منتظماً ومراتبياً — مع الجيش الدائم والشرطة والبيروقراطية ورجال الدين والهيئة القضائية — ترجع في الاصل الى ايام الملكية المطلقة حينما كانت بالنسبة للمجتمع البرجوازي الناشئ بمثابة سلاح قوي يستخدمه في كفاحه ضد الاقطاعية . ومع هذا فان تطورها ظلت تقف في طريقه جميع اشكال نفايات القرون الوسطى من حقوق اسياد

* — «عاشت الكومونة !» . **الناشر** .

الاراضي والنبلاء المطلقة والامتيازات المحلية واحتكارات البلديات وطوائف الحرفيين والقوانين الاقليمية . وقد عمدت الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر وكنست بمكنستها الهائلة جميع هذه النفايات البالية المتخلفة عن العصور الخالية وازالت بذلك عن التربة الاجتماعية العراقيل الاخيرة التي كانت تحول دون البناء الفوقي الذي هو صرح الدولة الحديثة . وقد شيد هذا الصرح في عهد الامبراطورية الاولى التي كانت هي ذاتها ثمرة حروب الائتلاف التي شنتها اوروبا القديمة شبه الاقطاعية ضد فرنسا الحديثة . وخلال قيام النظم التالية كانت الحكومة خاضعة للاشراف البرلماني – اي لاشراف الطبقات المالكة المباشر . فمن جهة تحولت الحكومة الى منبت لديون الدولة التى لا عد لها وللضرائب الباهظة ، واصبحت مثار الاختلاف بين الكتل المتنافسة ومغامري الطبقات السائدة الذين كانت تجذبهم اليها بصورة لا مرد لها ، مداخيلها ومناصبها النافذة والرابحة ؛ ومن جهة اخرى تغير طابعها السياسي بتأثير التغيرات الاقتصادية في المجتمع . وبقدر ما كان تقدم الصناعة الحديثة يطور ويوسع ويعمق التناقض الطبقي بين الرأسمال والعمل ، كانت سلطة الدولة تتخذ اكثر فأكثر طابع سلطة الرأسمال القومية على العمل ، طابع قوة اجتماعية منظّمة من اجل الاستعباد الاجتماعي ، طابع اداة للسيطرة الطبقية . وبعد كل ثورة تؤذن بخطوة معينة الى امام في النضال الطبقي ، يتجلى طابع الاضطهاد المحض لسلطة الدولة على نحو اوضح . ان ثورة ١٨٣٠ قد نزعت السلطة من ملاكي الاراضي ونقلتها الى الرأسماليين ، اي انها نقلتها من ايدي اعداء الطبقة العاملة الابعدين الى اعدائها الاقربين وقد استولى الجمهوريون البرجوازيون على سلطة الدولة باسم ثورة شباط (فبراير) وسخروها للقيام بمذبحة حزيران (يونيو) ؛ ولقد برهنوا بهذه المذبحة للطبقة العاملة ، على ان الجمهورية «الاجتماعية» لا تعني غير الجمهورية التي تؤمن استعبادها اجتماعياً ، كما برهنوا لسواد البرجوازية الملكي النزعة ولطبقة مالكي الاراضي على انهما يستطيعان ان يتركا الى «الجمهوريين» البرجوازيين دون اية خشية ، هموم الادارة ومنافعها المالية .

غير ان الجمهوريين البرجوازيين قد اضطروا ، بعد مأثرتهم الوحيدة التي اجترحوها في حزيران (يونيو) ، الى ان يتقهقروا من مقدمة حزب النظام الى مؤخرته – وهو حزب ائتلافي مؤلف من جميع كتل واحزاب الطبقة المالكة المتخاصمة التي تقف الآن في تناقض صريح مع الطبقات المنتجة . والشكل الانسب لادارتها المشتركة كانت **الجمهورية البرلمانية** مع لويس بونابرت رئيساً لها ؛ كان هذا نظام الارهاب الطبقي السافر والاهانة المتعمدة «للرعاع الانذال» . كانت الجمهورية البرلمانية ، كما قال تيير ، ذاك الشكل من الحكم الذي «فرق مختلف كتل الطبقة السائدة اقل من غيره» ، الا انه فتح هوة بين هذه الطبقة القليلة العدد وبين الهيئة الاجتماعية بأسرها القائمة خارجها . لقد كانت النزاعات داخل هذه الطبقة تفرض ، في عهود الانظمة السابقة ، قيوداً معينة على سلطة الدولة ؛ اما الآن فقد ازيلت هذه القيود بفضل اتحاد هذه الطبقة . وبالنظر لتهديد انتفاضة البروليتاريا اخذت الطبقة السائدة المتحدة تستخدم سلطة الدولة بوقاحة وبلا رأفة ، كآلة قومية لحرب الرأسمال ضد العمل . بيد ان حملتها الصليبية غير المنقطعة ضد سواد المنتجين قد اجبرتها من جهة على ان تمنح السلطة التنفيذية حقوقاً متزايدة لقمع المقاومة ، واجبرتها من جهة اخرى على ان تنزع تدريجياً من معقلها البرلماني – الجمعية الوطنية – جميع وسائله للدفاع ضد السلطة التنفيذية ؛ ولويس بونابرت الذي كان يمثل هذه السلطة التنفيذية قد فرق ممثلي الطبقة السائدة . وكانت الامبراطورية الثانية النتيجة الطبيعية لجمهورية حزب النظام .

لقد صرحت الامبراطورية التي coup d'état * شهادة لميلادها ، والاقتراع الشامل مصادقة على قيامها ، والسيف صولجاناً لها ، بانها تستند الى الفلاحين ، وهم كتلة كبيرة من المنتجين ممن لم يشتركوا بصورة مباشرة في الصراع بين الرأسمال والعمل . لقد ادعت الامبراطورية بانها منقذة الطبقة العاملة بحجة انها هدمت البرلمانية وهدمت معها انقياد الحكومة

---

* – انقلاب . **الناشر** .

السافر للطبقات المالكة ، وادعت بانها منقذة الطبقات المالكة بحجة انها دعمت سيطرتها الاقتصادية على الطبقة العاملة . وقد ادعت اخيراً بانها وحدت جميع الطبقات حول شبح للمجد القومي اعادته الى الحياة ثانية . اما في الحقيقة ، فقد كانت الامبراطورية الشكل الوحيد الممكن للحكم في وقت فقدت فيه البرجوازية المقدرة على حكم الامة ، ولم تكتسب الطبقة العاملة فيه بعد هذه المقدرة . وقد هلل العالم بأسره للامبراطورية باعتبارها منقذة المجتمع . وفي ظل حكمها بلغ المجتمع البرجوازي ، وقد تحرر من الهموم السياسية ، درجة عالية من التطور لم يكن في وسعه حتى ان يحلم بها . وراجت الصناعة والتجارة بمقاييس غير متناهية ؛ واحيت مضاربة البورصة حفلات التهتك الكوسموبوليتية ؛ وبرز بؤس الجماهير بروزاً صارخاً بجانب اللمعان الوقح من الترف الباذخ المكتسب عن طريق الغش والجريمة . بينما سلطة الدولة ، التي تبدو كأنها تحلق عالياً فوق المجتمع ، كانت ، في الواقع ، افظع فضائح ذلك المجتمع ومنبت مختلف المفاسد . ان حراب بروسيا التي كانت تتوق الى نقل مركز نظام الادارة هذا من باريس الى برلين ، قد كشفت عن جميع عفونة سلطة الدولة هذه كما كشفت في الوقت نفسه عن عفونة المجتمع الذي انقذته . ان النظام الامبراطوري هو اعهر شكل وآخره لسلطة الدولة التي بدأ المجتمع البرجوازي الناشئ في انشائها بوصفها اداة لتحريره من الاقطاعية ، والتي حولها المجتمع البرجوازي في نهاية المطاف ، بعد ان تطور كامل التطور ، الى اداة لاستعباد العمل من قبل الرأسمال .

وكانت الكومونة النقيض المباشر للامبراطورية . ان شعار «الجمهورية الاجتماعية» الذي هللت به بروليتاريا باريس لثورة شباط (فبراير) ، لم يكن الا تعبيراً عن طموح غامض الى جمهورية ينبغي لها ان تزيل لا الشكل المَلَكي للسيطرة الطبقية فحسب بل السيطرة الطبقية ذاتها ايضاً . وجاءت الكومونة الشكل المعني بالذات لتلك الجمهورية .

ان باريس التي كانت مقر ومركز السلطة الحكومية القديمة والتي كانت في الوقت نفسه السند الاجتماعي للطبقة العاملة

الفرنسية قد تمردت وحملت السلاح في وجه المحاولة التي قام بها تيير ومجلسه ، «مجلس الملاكين العقاريين» لاعادة وتخليد تلك السلطة الحكومية القديمة التي اورثتها الامبراطورية . ولم تستطع باريس ان تقاوم الا لأنها قد تخلصت من الجيش نتيجة للحصار واستعاضت عنه بالحرس الوطني الذي كانت اكثريتـــه الغالبة مؤلفة من العمـــال . وكان ينبغي تحويل هذا الواقع الى نظام مقرر ، ولذلك كان اول مرسوم اصدرته الكومونة يقضي بالغاء الجيش الدائم والاستعاضة عنه بالشعب المسلح .

لقد تشكلت الكومونة من اعضاء المجالس البلديـــة الذين اختيروا بالاقتراع الشــــامل في مختلف دوائر باريس . كانوا مسؤولين وكان يمكن الغاء التفويض الممنوح لهم في اي وقت كان . وكانت اكثريتهم ، بطبيعة الحال ، من العمال او من ممثلي الطبقة العاملة المعترف بهم . وكان يراد بالكومونة ان تكون لا هيئة برلمانية ، بل هيئة عاملة تتمتع بالسلطتين التشريعيـــة والتنفيذية في الوقت عينه . والشرطة التي كانت قبل ذلك الحين اداة في يد الحكومة المركزية جردت في الحال من جميع وظائفهـــا السياسية وحولت الى هيئة للكومونة مسؤولة يمكن تبديلها في اي وقت كان . وعلى هذا النحو كان موظفو سائر فروع الادارة بأسرها . ومن فوق الى اسفل ، ابتداء من اعضاء الكومونة ، كان يتعين اداء الخدمة العامة لقاء **اجرة تساوي اجرة العامل** . وقـــد اختفت جميع الامتيازات والعلاوات التي كان يتقاضاها كبار موظفي الدولة مع اختفاء هؤلاء الموظفين . وكفت الوظائف العامة عن ان تكون ملكاً خاصاً للموظفين الذين تعينهم الحكومـــة المركزية وانتقلت الى يد الكومونة لا ادارة البلدية فحسب بل ايضاً كامل المبادرة التي كانت تمارسها الدولة حتى ذلك الحين .

وبعد ان ازالت الكومونة الجيش الدائم والشرطة ، وهمـــا اداتا الحكم المادي في يد الحكومة القديمة ، اخذت في الحال تكسر اداة الاستعباد الروحي ، «قوة الكهنة» ، وذلك بفصل الكنيســـة عن الدولة ومصادرة جميع الكنائس لكونها هيئات تملك الاموال . وتعين على رجال الدين ان يعودوا الى حياة متواضعة كافراد بسطاء يعيشون مثل اسلافهم-الرسل ، على صدقات المؤمنين . وصارت

جميع المؤسسات التعليمية مجانية بالنسبـــة للشعب ووضعت خارج تأثير الكنيسة والدولة . وهكذا لم يصبح التعليم المدرسي في متناول الجميع فحسب بل ان العلم نفســـه تحرر كذلك من القيود التي فرضتها عليه الاوهام الطبقية والسلطة الحكومية .

وفقد الموظفون القضائيون استقلالهم الصوري الذي لم يكن سوى قناع يخفي تملقهم الذليل لجميع الحكومات المتعاقبة التي كانوا يؤدون لها على التوالي يمين الولاء ثم ينكثون به . وكان من المترتب عليهم ، شأنهم شـــأن سائر موظفي المجتمع ، ان يُنتخبوا في المستقبل بصورة مكشوفـــة وان يكونوا مسؤولين وعرضة للخلع .

وكان لكومونة باريس ان تغدو ، بلا شك ، نموذجاً لجميع المراكز الصناعية الكبرى في فرنسا . ولو استقر نظام الكومونة في باريس والمراكز الثانوية ، لتنازلت الحكومة المتمركزة القديمة عن مكانها لادارة المنتجين الذاتية في الاقاليم ايضـــاً . وقد جاء بوضوح في موجز التنظيم القومي الذي لم يتوفر للكومونة الوقت لوضعه بتفصيل اكبر ، ان الكومونـــة يجب ان تصير الشكـــل السياسي حتى لاصغر قرية ، وان الجيش الدائم يجب الاستعاضة عنه في الدوائر الريفية ايضاً بميليشيا شعبية تكون هذه الخدمة فيها قصيرة للغاية . وكان على جمعية المفوضين المجتمعين في حاضرة الدائرة ان تدير الشؤون العامة لجميع الكومونات الريفية في كل دائرة ، وكان على جمعيات الدوائر هذه ان ترسل بدورها مفوضيها الى الجمعية الوطنية التي تنعقد في باريس ؛ وكان على المفوضين ان يتقيدوا بدقـــة بـ mandat impératif (التفويض الالزامي) منتخبيهم وان يكونوا عرضـــة للخلع في اي وقت . والوظائف القليلة ، ولكن المهمة جداً ، التي كانت ستظل في يد الحكومة المركزية لم تكن لتلغى – ومثل هذا الزعم كان تزويراً عن عمد – بل كان يجب نقلها الى موظفي الكومونـــة ، اي الى موظفين ذوي مسؤولية محددة تحديداً دقيقاً . ووحدة الامة لم تكن لتفصم بل بالعكس كانت ستنظم عن طريق البناء الكوموني . وكان لوحدة الامة ان تصبح حقيقة بتدمير سلطـــة الدولة التي كانت تدعي بأنها تجسيد لتلك الوحدة ، ولكنها كانت ترغب في

ان تكون مستقلة عن الامة ، مستعلية عليها . اما في الواقع فلم تكن سلطة الدولة هذه الا بمثابة الزائدة الطفيلية على جسم الامة . وكانت المهمة هي بتر اجهزة الاضطهاد البحتة التابعة للسلطة الحكومية القديمة ، وانتزاع الوظائف المشروعة من سلطة تطمع بان تكون فوق المجتمع وتسليمها الى خدام المجتمع المسؤولين . وبدلا من البت مرة كل ثلاث سنوات او ست في مسألة معرفة اي عضو من الطبقة السائدة يجب ان يمثل ويقمع الشعب في البرلمان ، كان يجب على الحق الانتخابي العام ، بدلا من ذلك ، ان يخدم الشعب المنظم في الكومونات ، قصد البحث لمؤسسته عن عمال ومراقبين ومحاسبين ، كما يخدم حق الانتخاب الفردي لهذا الغرض اياً كان من ارباب العمل . فمعروف ان المؤسسات ، شأنها شأن الافراد تماماً ، تعرف عادة كيف تضع ، في نشاطها العملي ، الشخص المناسب في المكان المناسب ، واذا ارتكبت خطأ مرة من المرات فهي تعرف كيف تصلح خطأها تواً . ومن ناحية اخرى كانت الكومونة ، بلا شك ، في جوهرها ذاته ، مناوئة للاستعاضة عن الحق الانتخابي العام بالتعيين المراتبي (٦٣) .

ان نصيب الابداع التاريخي الجديد بوجه عام هو انه يُعتبر صنواً لاشكال قديمة او حتى اشكال بائدة في الحياة الاجتماعية تشبهها مؤسسات جديدة بعض الشبه . وهكذا فان هذه الكومونة الجديدة التي تحطم سلطة الدولة الحديثة أُعتبرت بمثابة بعث لكومونات العصور الوسطى التي سبقت نشوء سلطة الدولة تلك وكونت اساساً لها . — وأُعتبر البناء الكوموني عن خطأ محاولة للاستعاضة باتحاد الدول الصغيرة الذي حلم به مونتيسكيو والجيرونديون (٦٤) ، عن تلك الوحدة التي اصبحت الآن عاملا قوياً في الانتاج الاجتماعي — عند الامم الكبرى — رغم انها قامت في البدء عن طريق العنف السياسي . — والتناحر بين الكومونة وسلطة الدولة أُعتبر عن خطأ شكلا مضخماً للكفاح القديم ضد الافراط في التمركز . وكان في مستطاع الظروف التاريخية الخاصة ان تحول دون التطور الكلاسيكي للشكل البرجوازي للحكم ، كما كان الحال في فرنسا ، وان تؤدي ، كما في انجلترا مثلا ، الى اكمال هيئات الدولة المركزية الرئيسية بمجالس ابرشيات

مأجورة وباعضاء جشعين من المجالس البلدية وبمهيمنين ضوار على الفقراء في المدن وبقضـــاة صلح ووراثيين في واقع الامر في الكونتيات . ان البناء الكوموني كان سيعيد الى الجسم الاجتماعي جميع القوى التي ابتلعتها حتى ذلك الحين الزائدة الطفيليـــة ، «الدولة» ، التي تقتات على حساب المجتمع وتعيق تقدمه الحر . وهذا وحده كان يكفي لأن يتقدم بعث فرنسا . — ان برجوازية مدن الاقاليم رأت في الكومونة محاولة لاعادة السيطرة على الريف التي كانت تتمتع بها في عهد لويس فيليب ، والتي حلت محلها في عهد لويس نابليون سيطرة الريف الموهومـــة على المدن . والواقع ان البناء الكوموني كان سيضع المنتجين الريفيين تحت القيادة الروحية لحواضر كل منطقة ويؤمن لهم هناك ، في شخص عمال المدن ، الممثلين الطبيعيين لمصالحهـــم . -- ان وجود الكومونة انطوى في حد ذاته ، وكشيء بديهي ، على الادارة الذاتية المحلية ، ولكنها لم تبق ثقلا معاكساً لسلطة الدولة التي صارت الآن زائدة . ولم يكن يخطر الا ببال شخص كبيسمـــارك الذي يكرس وقته كله ، عندما لا يكون مشغـــولا بمكائـــد في مكان صدارتها دائماً الدم والحديد ، لنشاطه الطويل القديم الذي يلائم كل الملاءمة مؤهلاته العقلية ، في مجلة «Kladderadatsch» (مجلة «Punch» البرلينية) (٦٥) ، لم يكن يخطر الا ببال انسان كهذا ان يعزو الى كومونة باريس الطموح الى تنظيم البلديات البروسي — الصورة الكاريكاتورية عن تنظيم البلديات الفرنسي لسنـــة ١٧٩١ — الذي يحط من شأن البلديات ويجعلهـــا مجرد عجلات ثانوية في جهاز الدولة البروسية البوليسي .

لقد جعلت الكومونة من ذلك الشعار الذي نادت به جميع الثورات البرجوازية — الحكومة القليلة النفقات — حقيقة ، وذلك بالغاء اكبر بابين من ابواب النفقـــات : الجيش الدائم وسلك الموظفين . ووجود الكومونة في حد ذاته كان انكاراً للمَلَكيـــة التي هي ، في اوروبا على الاقل ، الصابورة العادية والقناع الذي لا يستغنى عنه للسيطرة الطبقية . لقد امدت الكومونة الجمهورية باساس للمؤسسات الديموقراطية حقاً . ولكن لا الحكومة القليلة

النفقات ولا «الجمهورية الحقيقية» كانتا هدفها النهائي ، لقد كانتا مجرد مرافقتين لها .

ان تعدد الشروح التي استتبعتها الكومونة وتعدد المصالح التي وجدت فيها تعبيراً عنها يثبتان انها كانت شكلا سياسياً مرناً تماماً ، بينما كانت جميع الاشكال السابقة للحكومة اشكال الاضطهاد من حيث جوهرها . وكان سرها الحقيقي هو هذا : كانت ، من حيث الجوهر ، حكومة الطبقة العاملة ، كانت نتاج كفاح طبقة المنتجين ضد طبقة المستملكين ؛ كانت الشكل السياسي الذي اكتشف اخيراً والذي كان يمكن ان يتم في ظله انجاز التحرير الاقتصادي للعمل .

ولولا هذا الشرط الاخير لكان البناء الكوموني مستحيلا ولكان غشاً . ان حكم المنتجين السياسي لا يمكن ان يقوم جنباً الى جنب مع تخليد عبوديتهم الاجتماعية . ولذلك كان لا بدّ ان تقوم الكومونة بدور اداة لتحطيم الدعائم الاقتصادية التي يعتمد عليها وجود الطبقات ذاته وبالتالي السيطرة الطبقية . ومع تحرير العمل سيغدو الجميع عمالا وسيكف العمل المنتج عن ان يكون خاصة طبقة معينة .

شيء غريب : على الرغم من كل الكلام وكل المؤلفات خلال السنوات الستين الاخيرة حول تحرير العمل ، لا يكاد العمال يأخذون هذه القضية بايديهم بعزم ، في مكان ما ، حتى تتعالى ضدهم على الفور تعابير المدافعين عن المجتمع الراهن مع قطبيه المتناقضين : الرأسمال وعبودية العمل المأجور (مالكو الاراضي ما هم الآن الا الشركاء الخرس للرأسماليين) . كأن المجتمع الرأسمالي ما يزال في انقى حالات الطهارة والعذرة ! وكأن تناقضاته لما تتطور ، وأوهامه لما تتكشف وحقائقه العاهرة لما تفضح ! انهم يقولون : الكومونة تعتزم الغاء المُلكية — اساس المدنيَة بأسرها ! نعم ، ايها السادة المحترمون ، ان الكومونة كانت تعتزم الغاء تلك المُلكية الطبقية التي تجعل عمل الكثرة ثروة القلة ؛ كانت تعتزم مصادرة ملكية المغتصبين . كانت تريد ان تجعل الملكية الفردية حقيقة واقعية بتحويل وسيلتي الانتاج ، الارض والرأسمال ، اللتين هما الآن ، قبل كل شيء ،

اداتان لاستعباد العمل واستثماره ، الى اداتين للعمل الحر المشترك . — ولكن هذه شيوعية ، شيوعية «مستحيلة !» غير ان اولئك الممثلين من الطبقات السائدة — وهم كثيرون — الذين اسعفهم ذكاؤهم فادركوا استحالة استمرار الوضع الراهن طويلا قد غدوا رسل الانتاج التعاوني اللجوجين الضجاجين . واذا كان للانتاج التعاوني الا يظل كلاماً فارغاً او خداعاً ، اذا كان له ان يحل محل النظام الرأسمالي ، اذا نظمت الجمعيات التعاونية الموحدة الانتاج الوطني بناء على خطة مشتركة ووضعته تحت اشرافها هي ، فوضعت بذلك حداً للفوضى الدائمة والنوبات الدورية التي هي القضاء المحتوم للانتاج الرأسمالي — ألا يكون ذلك ، وهذا ما نسألكم ، ايها السادة المحترمون ، شيوعية ، شيوعية «ممكنة» ؟

ان الطبقة العاملة لم تكن تنتظر المعجزات من الكومونة . انها لا تنوي ان تحقق par décret du peuple * ، طوباويات جاهزة متممة . انها تدرك ان عليها ، لكي تحرر نفسها وتصل في الوقت نفسه الى ذلك الشكل الاعلى الذي يسعى اليه المجتمع الحالي بصورة لا تقاوم ، بفعل تطوره الاقتصادي ذاته ، ان تخوض نضالا طويلا وان تجتاز سلسلة كاملة من العمليات التاريخية التي تغير الظروف والناس تغييراً تاماً . وما ينتظر الطبقة العاملة ليس بمثل عليا تحققها ، انما عليها ان تفسح فقط مجالا لعناصر المجتمع الجديد التي تطورت في احشاء المجتمع البرجوازي القديم بسبيل الانهيار . وفي وسع الطبقة العاملة ، بادراكها التام لرسالتها التاريخية وبعزمها البطولي على ادائها ، ان تواجه بابتسامة ساخرة الشتائم المقذعة التي يطلقها عليها الصحفيون الخدم والعظات التوجيهية التي يسبغها عليها العقائديون البرجوازيون ذوو النوايا الطيبة فيصبون تفاهاتهم الجاهلة ويقدمون اوهامهم الانعزالية بلهجة كاهن معصوم .

عندما اخذت كومونة باريس قيادة الثورة على عاتقها ، وعندما جرؤ العمال البسطاء ، لاول مرة ، على التعدي على امتياز

* — بمرسوم من الشعب . **الناشر** .

«رؤسائهم الطبيعيين» – امتياز الحكم بالذات – باشروا هذا العمل في ظروف ليس لها مثيل في صعوبتها وادوه بتواضع واخلاص ونجاح ، ولم يزد اعلى مرتباتهم عن خُمس مرتب يتقاضاه ، على ما قرره احد ثقات العلم ، سكرتير مجلس من المجالس المدرسية في لندن ، – وتلوى العالم القديم من تشنجات الغضب لدى رؤية العلم الاحمر – رمز جمهورية العمل ، يخفق فوق بناية بلدية المدينة .

ومع هذا ، كانت هذه هي الثورة الاولى التي اعترف فيها صراحة للطبقة العاملة بانها الطبقة الوحيدة القادرة على القيام بالمبادرات الاجتماعية ؛ وقد اعترف بذلك حتى الفئات الواسعة من الطبقة الوسطى في باريس – صغار الباعة والحرفيون والتجار – اي الجميع باستثناء ثراة الرأسماليين . لقد انقذت الكومونة هؤلاء بايجاد تسوية حكيمة لقضية كانت دائماً سبباً للنزاع في الطبقة الوسطى نفسها – قضية الدائن والمدين (٦٦). هذا القسم من الطبقة الوسطى اشترك سنة ١٨٤٨ في قمع انتفاضة حزيران (يونيو) التي قام بها العمال ، وعلى اثر ذلك قد قدمته الجمعية التأسيسية ضحية لدائنيه (٦٧) دون اي حياء . بيد ان هذا ليس هو الحافز الوحيد الذي انضم بسببه الآن الى العمال . كان يشعر بان عليه ان يختار بين الكومونة والامبراطورية مهما يكن الاسم الذي قد تظهر تحته . الامبراطورية خربت هذا القسم من الطبقة الوسطى اقتصادياً باختلاسها الثروة العامة وبحماية المضاربة الضخمة في البورصة وبمساهمتها في التعجيل الاصطناعي لتركيز الرأسمال وما يسببه هذا التركيز من مصادرة لاموال هذا القسم من الطبقة الوسطى . كانت الامبراطورية تضطهد هذا القسم سياسياً وتثير استياءه اخلاقياً بحفلات التهتك ؛ وكانت تهين فولتيريته بتسليمها تعليم اطفاله الى frères ignorantins (٦٨) ؛ واثارت مشاعره القومية ، كفرنسيين ، بتطويحها به بصورة متهورة في هذه الحرب التي لم تكافئ جميع بلاياها الا بشيء واحد – اسقاط الامبراطورية . والواقع انه بعد فرار bohème * كبار الموظفين البونابرتيين

* – زمرة ، عصابة . **الناشر** .

والرأسماليين من باريس التف حزب النظام الحقيقي للطبقة الوسطى ، الذي عمل باسم الاتحاد الجمهوري (٦٩) ، حول راية الكومونة وذاد عنها ضد افتراء تيير . اما فيما اذا كان عرفان الجميل لهذا السواد من الطبقة الوسطى يصمد للمحن الشديدة الراهنة فهذا ما سيبينه المستقبل .

لقد كانت الكومونة على حق كل الحق ان تعلن للفلاحين ان «انتصارها هو أملهم الوحيد !» . فمن سيل الافتراءات التي أُفرخت في فرساي والتي نشرها في ارجاء العالم كله الكتاب المأجورون من الصحافة الاوروبية المجيدة ، كان افظع كذبة القول بان «مجلس الملاكين العقاريين» كان يمثل الفلاحين الفرنسيين . حاولوا ان تتصوروا حب الفلاحين الفرنسيين لاولئك الذين كان على الفلاحين ان يدفعوا لهم بعد سنة ١٨١٥ مكافأة قدرها مليار (٧٠) ! ان وجود المالك العقاري الكبير في حد ذاته يشكل ، في نظر الفلاح الفرنسي ، مطاولة على مكتسباته سنة ١٧٨٩ . لقد فرض البرجوازيون سنة ١٨٤٨ على اراضي الفلاحين ضريبة اضافية تبلغ ٤٥ سنتيماً في الفرنك ، بيد انهم فعلوا ذلك باسم الثورة ؛ والآن اثاروا حرباً اهلية ضد الثورة ليلقوا على عواتق الفلاحين العبء الرئيسي من غرامة المليارات الخمسة التي تعهدوا بدفعها الى البروسيين . اما الكومونة فقد اعلنت ، على عكس ذلك ، في احد منشوراتها الاولى، ان مثيري الحرب الحقيقيين هم الذين ينبغي لهم ان يتحملوا عبأها . كانت الكومونة ستحرر الفلاح من ضريبة الدم وستمنحه حكومة قليلة النفقات ، ستحل محل مصاصي دمائه الحاليين – كتاب العدل والمحامين وكتبة المحاكم وغيرهم من مصاصي الدماء القضائيين – موظفين كومونيين يتقاضون مرتبات ويقوم هو بانتخابهم ويكونون مسؤولين امامه . كانت ستحرره من تصرفات الشرطة الريفية ورجال الدرك ومدراء المحافظات ؛ كانت ستضع تثقيف معلم المدرسة مكان تسفيه الكاهن . والفلاح الفرنسي الذي هو قبل كل شيء رجل يحسن الحساب ، كان سيجد من المعقول جداً ان تدفع رواتب الكهنة لا من مبالغ يجمعها الجابي بل من تبرعات اختيارية يتوقف قدرها على درجة تقوى الرعية .

تلك هي النعم المباشرة الكبرى التي كانت تنتظر الفلاحين الفرنسيين على يد حكم الكومونة – الكومونة فقط . فلا طائل اذاً ان نقف هنا ونتكلم عن القضايا الاكثر تعقيداً والحيوية حقاً التي كانت الكومونة وحدها تستطيع ويجب عليها ان تحلها لصالح الفلاحين – كقضية الدين العقاري الذي كان جاثماً كالكابوس على قطعة ارض الفلاح الصغيرة جداً ، وقضية prolétariat foncier (البروليتاريا الريفية) التي تتزايد من يوم الى آخر ، وقضية مصادرة املاك الفلاحين انفسهم التي كانت تجري بسرعة متزايدة بفضل تطور الزراعة الحديثة ومزاحمة الزراعة الرأسمالية .

ان الفلاحين الفرنسيين هم الذين انتخبوا لويس بونابرت رئيساً للجمهورية ، ولكن حزب النظام هو الذي خلق الامبراطورية الثانية . وما يريده الفلاح الفرنسي حقاً بدأ يجهر به في سنة ١٨٤٩ وسنة ١٨٥٠ بان عارض برئيس بلديته مدير المحافظة الحكومي ، وعارض بمعلم مدرسته كاهن الحكومة ، وعارض بنفسه دركي الحكومة . وجميع القوانين التي سنها حزب النظام في كانون الثاني (يناير) وشباط (فبراير) سنة ١٨٥٠ كانت موجهة ، باعترافه هو نفسه ، ضد الفلاحين . لقد كان الفلاح بونابرتياً لانه مثّل الثورة العظمى والفوائد التي جرّتها عليه في شخص نابليون . ولكن هذا الوهم قد تبدد بسرعة في عهد الامبراطورية الثانية . هذه الخرافة من خرافات الماضي (وهي في جوهرها كانت معادية لرغبات «مجلس الملاكين العقاريين») – أنّى لها ان تقف في وجه التفات الكومونة الى مصالح الفلاحين الحيوية وحاجاتهم الملحة ؟

ولقد كان «مجلس الملاكين العقاريين» يعرف جيداً – وكان هذا هو اخشى ما يخشاه – إن ثلاثة اشهر من الاتصال الحر بين باريس الكومونيين والاقاليم ستؤدي الى نشوب انتفاضة فلاحية عامة . ومن هنا نشأ استعجاله الجبان في ضرب حصار بوليسي حول باريس ليحول دون انتشار العدوى .

وهكذا اذا كانت الكومونة هي الممثل الحقيقي لجميع العناصر السليمة في المجتمع الفرنسي وكانت ، بالتالي ، الحكومة الوطنية

حقاً ، فقد كانت في الوقت نفسه ، باعتبارها حكومة العمال ، مناضلة جريئة في سبيل تحرير العمل ، اممية بكل معنى هذه الكلمة . وتحت بصر الجيش البروسي الذي كان قد ضم الى المانيا اقليمين فرنسيين ، ضمت الكومونة الى فرنسا عمال الدنيا قاطبة .

ان الامبراطورية الثانية كانت عيداً للنصب الكوسموبوليتي . وقد استجاب لندائها النصابون من جميع الاقطار ليشتركوا في حفلاتها التهتكية وفي نهب الشعب الفرنسي . وحتى هذه اللحظة ما يزال ساعد تيير الايمن هو غانيسكو الغشاش من ولاشيا ، وساعده الايسر هو ماركوفسكي الجاسوس الروسي . لقد افسحت الكومونة المجال لجميع الاجانب لينالوا شرف الموت من اجل قضية خالدة . وقد تمكنت البرجوازية في فترة ما بين الحرب الخارجية التي خُسرت بسبب خيانتها والحرب الاهلية التي نشبت بسبب تآمرها مع الغازي الاجنبي من ان تظهر وطنيتها بتنظيم حملات قنص بوليسية ضد الالمان في فرنسا كلها . اما الكومونة فقد عينت عاملا المانياً * وزيراً للعمل فيها . وكان تيير والبرجوازية والامبراطورية الثانية يخادعون البولونيين بصورة متواصلة بترديدهم بصوت عال مزاعم العطف عليهم بينما كانوا في حقيقة الامر يخونونهم في صالح روسيا ويقومون بعملها القذر . اما الكومونة فقد اكرمت ابني بولونيا البطلين ** بوضعهما على رأس المدافعين عن باريس . ولكي تضع الكومونة علامة فارقة اوضح على هذه الحقبة الجديدة من التاريخ التي استهلتها عن ادراك ، قامت تحت بصر البروسيين المنتصرين من جهة وتحت بصر الجيش البونابرتي الذي يقوده جنرالات بونابرتيون من جهة اخرى ، بهدم ذلك الرمز الشامخ من رموز المجد العسكري – مسلة فندوم .

ان الاجراء الاجتماعي العظيم الذي قامت به الكومونة هو وجودها بالذات ونشاطها . وبعض الاجراءات التي قامت بها ما كانت الا مجرد

---

* ليو فرانكل . **الناشر** .

** ي . دومبروفسكي وف . فروبليفسكي . **الناشر** .

دلالة على الاتجاه الذي تتطور فيه ادارة الشعب بواسطة الشعب نفسه . ومنها الغاء العمل الليلي بالنسبة للخبازين ؛ ومنع تخفيض الاجور بفرض الغرامات على العمال بحجج مختلفة ، وذلك تحت طائلة العقوبة - وفرض الغرامات اسلوب عادي يلجأ اليه ارباب العمل فيجمعون في شخصهم السلطة التشريعية والقضائية والتنفيذية ويضعون اموال الغرامة في جيوبهم . واجراء آخر من هذه الفئة كان تسليم جميع المشاغل والمعامل المعطلة التي فر اصحابها او اوقفوا العمل فيها ، الى جمعيات العمال مع منحها الحق في المكافأة .

ان الاجراءات المالية التي قامت بها الكومونة ، وهي اجراءات مرموقة في حصافتها واعتدالها ، ما كان ممكناً ان تكون الا من النوع الذي يتفق وحالة مدينة محاصرة . فقد نهبت شركات الصيارفة الكبيرة ومقاولو البناء تحت حماية هوسمان* مدينة باريس الى درجة ان الكومونة كان لديها من الحق في مصادرة اموالهم اكثر بكثير من حق لويس بونابرت في مصادرة اموال اسرة اورليان . ان آل هوهنزوللرن والاريستقراطيين الانجليز الذين يتألف القسم الاكبر من ثرواتهم من ممتلكات الكنيسة المنهوبة ، قد تملكهم استياء شديد من الكومونة ، بطبيعة الحال ، مع ان الكومونة لم تحصل الا على ٨٠٠٠ فرنك من مصادرة ممتلكات الكنيسة .

وحالما استردت حكومة فرساي بعض الروح والقوة ، اخذت تلجأ الى اعنف التدابير ضد الكومونة ؛ فقد خنقت حرية التعبير عن الرأي في جميع انحاء فرنسا ومنعت حتى عقد اجتماعات مندوبي المدن الكبرى ؛ وانشأت في فرساي وبقية فرنسا شبكة تجسس تزيد كثيراً عنها في عهد الامبراطورية الثانية ؛ وكان دركيوها ، اشبه برجال محاكم التفتيش ، يحرقون جميع الصحف الصادرة في باريس ويفضون جميع الرسائل من باريس واليها ؛ وكانت الجمعية الوطنية ترد على اخجل محاولة لقول كلمة دفاعاً عن باريس ، بزعيق

---

* خلال الامبراطورية الثانية كان البارون هوسمان (Haussmann) مديراً لمحافظة السين اي لمدينة باريس . وقد قام ببعض الاعمال لمد شوارع جديدة وغير ذلك بغية تسهيل النضال ضد انتفاضات العمال . **(ملاحظة للطبعة الروسية التي صدرت في عام ١٩٠٥ بتحرير لينين .) الناشر .**

مسعور على نحو لم يعرفه حتى «chambre introuvable» لسنة ١٨١٦ . ان حكام فرساي لم يكونوا يشنونها حرباً ضارية ضد باريس فحسب بل كانوا يبذلون جهدهم ايضاً للعمل داخل باريس عن طريق الرشوة والتآمر . فهل كان في وسع الكومونة ان تراعي في مثل هذه الظروف الاشكال الاصطلاحية لليبيرالية كما يحدث ابان السلم الشامل التام ، دون خيانة رسالتها خيانة شنعاء ؟ ولو كانت حكومة الكومونة مماثلة في روحها لحكومة تيير ، لما كانت هناك موجبات لمنع صحف حزب النظام في باريس وصحف الكومونة في فرساي .

وطبيعي ان ارغى نواب «مجلس الملاكين العقاريين» وازبدوا اذ انه في الوقت الذي اعلنوا فيه ان العودة الى احضان الكنيسة هي السبيل الوحيد لخلاص فرنسا ، كشفت الكومونة الكافرة عن اسرار دير بيكبوس النسائي وكنيسة سان لوران (٧١) . ألم يكن ذلك سخرية لاذعة بالنسبة لتيير الذي كان يمطر جنرالات بونابرت بصلبان جوقة الشرف تقديراً لمهارتهم في خسارة المعارك وتوقيع الاستسلامات ولف السجائر في ولهلمسهوي (٧٢) بينما كانت الكومونة تطرد وتعتقل جنرالاتها لدى ادنى ظن بتقصيرهم في اداء واجباتهم ؟ الم يكن ذلك صفعة في وجه جول فافر صانع الوثائق المزورة ، الذي كان ما يزال وزيراً لخارجية فرنسا والذي باع فرنسا من بيسمارك واملى اوامره على حكومة البلجيك النموذجية ، في حين ان الكومونة طردت احد اعضائها * واعتقلته وهو الذي اندس فيها تحت اسم مزور وسبق له ان سجن ستة ايام في ليون لجريمة افلاس عادي ؟ بيد ان الكومونة لم تكن تدعي العصمة كما فعلت ذلك جميع الحكومات القديمة دون استثناء . فقد كانت تنشر جميع تقارير جلساتها وتعلن عن جميع افعالها ؛ وكانت تطلع الجمهور على كل نقائصها .

في كل ثورة يبرز ، الى جانب ممثليها الحقيقيين ، رجال من طابع مغاير . بعضهم ، من جهة ، مشتركو الثورات السابقة وعابدوها الخرافيون ممن لا يعرفون مغزى الحركة الراهنة بيد انهم

---

* بلانشه . **الناشر** .

ما يزالون يحتفظون بتأثير في الشعب لامانتهم المعروفة للجميع ولشجاعتهم او لمجرد قوة التقاليد ؛ وآخرون هم مجرد زعاق يرددون ، العام تلو العام ، تصريحاتهم المألوفة ضد الحكومات القائمة ويلقبون لذلك بلقب ثوريين من الدرجة الاولى ، هذا من جهة ثانية . وبعد ١٨ آذار (مارس) ظهر ايضاً رجال من هؤلاء وتسنى لهم ان يلعبوا دوراً بارزاً في بعض الاحيان . وقد عرقلوا الحركة الحقيقية للطبقة العاملة بقدر طاقتهم ، تماماً كما عرقل رجال من هذا الطراز من قبل التطور التام لجميع الثورات السابقة . انهم شر لا مناص منه : ومع مضي الوقت يتخلصون منهم ، ولكن ذلك الوقت ما كان في حوزة الكومونة .

لقد غيرت الكومونة باريس بصورة عجيبة ! لم يعد هنالك من اثر لباريس الداعرة عهد الامبراطورية الثانية . ولم تعد عاصمة فرنسا ملتقى لكبار اصحاب الاراضي البريطانيين والمتغيبين الارلنديين (٧٣) وللاميركيين من مالكي العبيد السابقين وحديثي النعمة ولمالكي الاقنان الروس السابقين وللاعيان الولاشيين . وليس هناك اي جثة في معرض الجثث ؛ ولا جرائم نهب ليلية ولا حوادث سرقة الا فيما ندر جداً . ان شوارع باريس ، لاول مرة منذ ايام شباط (فبراير) ١٨٤٨ ، قد غدت مأمونة بالرغم من انه لم يكن فيها ولو شرطي واحد .

لقد قال احد اعضاء الكومونة : «اننا لم نعد نسمع بالاغتيال والنهب والاعتداء على الافراد ؛ ويمكن الظن ان الشرطة قد جرّت معها الى فرساي جميع اصدقائها المحافظين» .

وتبعت النساء الساقطات اولياءهن ، هؤلاء الفارين من اساطين العائلة والدين ، وفوق كل شيء ، اساطين المُلْكية . وبدلا عنهن ، ظهرت في المقدمة من جديد نساء باريس الحقيقيات ، البطلات ، النبيلات ، المتفانيات ، شأنهن شأن نساء الماضي السحيق الكلاسيكي . ان باريس العاملة المفكرة المقاتلة النازفة دماً ولكنها باريس المتقدة حماسة بوعي مبادرتها التاريخية ، كانت شبه غافلة ، وهي منهمكة بحماسة في بناء مجتمع جديد ، عن أكلة لحوم البشر الواقفين قرب اسوارها !

ووجهاً لوجه امام هذا العالم الجديد في باريس ، كان العالم القديم في فرساي – ذلك الحشد من مصاصي الدماء من جميع العهود المنقرضة – الليجيتيميون والاورليانيون الذين يتحرقون الى افتراس جيفة الشعب – ومعهم ذيل من جمهوريي ما قبل الطوفان يؤيدون ، بوجودهم في الجمعية الوطنية ، فتنة مالكي العبيد ؛ لقد أملوا في الاحتفاظ بالجمهورية البرلمانية بفضل غرور البهلول الهرم الواقف في رأس الحكم ؛ ومسخوا صورة عام ١٧٨٩ بعقد اجتماعات الاشباح في جو-دي-بوم* . ان هذه الجمعية التي كانت تمثل كل ما هو ميت في فرنسا ، واصلت حياتها الطيفية بفضل سيوف جنرالات لويس بونابرت وحدها . باريس كلها – الحقيقة ؛ فرساي كلها – الكذب ؛ وداعي هذا الكذب كان تيير .

قال تيير لوفد من رؤساء بلديات محافظة السين وواز ما يلي :

«تستطيعون ان تركنوا الى كلمتي التي ما نقضتها يوماً» .

وقال للجمعية «انها بين جميع الجمعيات في فرنسا اكثرها ليبيرالية واوفرها حرية من حيث الانتخاب» ؛ وقال للخليط المرقع من جنده انهم «اعجوبة العالم واحسن جيش ملكته فرنسا في يوم من الايام» ؛ وقال للاقاليم ان قصف باريس بالمدفعية بأمر منه هو خرافة لا اكثر :

«اذا كانت قد اطلقت بعض قنابل المدافع فلم يطلقها جيش فرساي بل بعض الثوار الذين يريدون ان يوهموا بانهم يقاتلون بينما هم لا يجرؤون على ابراز انوفهم» .

ثم هو اعلن للاقاليم فيما بعد :

«ان مدفعية فرساي لا تقصف باريس بالقنابل ، انما تطلق عليها من المدافع فحسب» .

وقال لرئيس اساقفة باريس ان جميع اجراءات الاعدام

---

* صالة لعب الكرة حيث تبنت الجمعية الوطنية سنة ١٧٨٩ قرارها الشهير (٧٤) (**ملاحظة انجلس للطبعة الالمانية سنة ١٨٧١ .**)

بالرصاص واجراءات القمع (!) التي نسبت الى جنود فرساي ليست سوى كذب . وهو اعلن لباريس انه حريص فقط على «ان يحررها من الطغاة الكريهين الذين يظلمونها» وان باريس الكومونة ليست «الا حفنة من المجرمين لا اكثر ولا اقل» .

ان باريس تيير لم تكن باريس «الرعاع الانذال» الحقيقية بل باريس الطيف ، باريس francs-fileurs (٧٥) ، باريس رواد البولفارات ذكوراً واناثاً ، باريس الثرية ، الرأسمالية ، المذهبة ، الطفيلية ؛ باريس التي تحتشد الآن بخدمها ونصابيها وممثلي فنها البوهيمي وموسمساتها ، في فرساي وسان-ديني ورويي وسان-جرمان ، والتي لم تر في الحرب الاهلية الا ملهاة لطيفة ، ونظرت الى المعارك من خلال المناظر المكبرة واحصت طلقات المدافع واقسمت بشرفها وشرف مومساتها ان التمثيل هنا احسن بكثير منه في مسرح بورت-سان-مارتان . فالقتلى كانوا امواتاً بالفعل وصرخات الجرحى لم تكن مفتعلة ، وعلاوة على ذلك كانت الدراما التي دارت امامهم دراما تاريخية عالمية .

هكذا كانت باريس السيد تيير تماماً كما كانت هجرة كوبلنتز هي فرنسا مسيو دي كالون (٧٦) .

٤

ان المحاولة الاولى التي قام بها مالكو العبيد المتآمرون لاخضاع باريس بجعل الجنود البروسيين يحتلونها ، قد منيت بالفشل بسبب رفض بيسمارك . والمحاولة الثانية ، محاولة ١٨ آذار (مارس) انتهت بهزيمة الجيش وبفرار الحكومة الى فرساي ، الى حيث تبعها ، بامر منها ، كل الجهاز الاداري . وتحت ستار مفاوضات الصلح مع باريس ، كان تيير يكتسب الوقت استعداداً لشن الحرب عليها . ولكن أنّى له الجيش ؟ ان بقايا افواج الميدان كانت ضئيلة في عددها وروحها لا تبعث الاطمئنان ؛ ونداءات تيير الملحة الى الاقاليم لنجدة فرساي بافراد الحرس الوطني وبالمتطوعين قوبلت بالرفض الصريح . وارسل اقليم بريتانيا وحده حفنة من الشوان (٧٧) الذين يحاربون تحت راية بيضاء ويخيط كل واحد منهم على

صدره قلب المسيح من قماش ابيض ؛ وكانت صيحتهم في القتال : «Vive le Roi !» (عاش الملك !) . ولهذا لم يستطــع تيير ان يجمع بعجلة الا خليطاً من النوتية وجنود البحرية والزواف البابويين (٧٨) ومن جندرمة فالانتين وشرطة وmouchards * بيتري . وقد كان هذا الجيش ضئيلا على نحو مضحك لولا اسرى الجيش البونابرتي الذين كانوا يصلون تدريجياً والذين كان يقدمهم بيسمارك باعداد تكفي ، من جهة ، لابقاء الحرب الاهلية دائرة ، ومن جهة اخرى ، لابقاء فرساي في حالة تبعية ذليلة ازاء بروسيا . وفي اثنـــاء هذه الحرب كان على شرطة فرساي ان تراقب جيش فرساي بينما كان على الدرك ان يحتلوا دائماً اخطر الاماكن كي يجروه وراءهم . امـــا الحصون التي سقطت ، فلم تؤخذ اخذاً بل اشتريت . وقد اقنعت بطولة الكومونيين تيير بان مواهبه الستراتيجية والحراب التي كانت تحت تصرفه لا تكفي للتغلب على مقاومة باريس .

وفي هذه الاثناء اخذت علاقاته مع الاقاليم تزداد توتراً اكثر فاكثر . ولم تتلق فرساي اي رسالة استحسان من شأنهـــا ان تشجع تيير ومجلسه ، «مجلس الملاكين العقاريين» الى هذا الحد او ذاك . بل بالعكس تماماً ؛ فقد تدفقت الوفود والرسائل من كل حدب وصوب تلح ، في لهجة بعيدة عن لهجة الاحترام ، على المصالحة مع باريس على اساس الاعتراف بلا لبس ولا ابهام بالجمهورية واقرار الحريات الكومونية وحل الجمعية الوطنية التي انتهت مدة تفويضها . وكانت الوفود والرسائل من الكثرة بحيث امر دوفور ، وزير عدلية تيير ، في منشوره المؤرخ في ٢٣ نيسان (ابريل) بان يعتبر المدعون العامون «النداءات بالمصالحة» جريمة ! واذ رأى تيير ان الحملة على باريس لا امل منها يرتجى ، قرر ان يغير التكتيك وعين الـ٣٠ من نيسان موعداً لاجراء الانتخابات البلدية في طول البلاد وعرضها على اساس قانون جديد فرضه هو نفسه على الجمعية الوطنية . وقد لجأ الى دسائس مدرائه في المحافظات تارة والى تهديدات شرطته تارة اخرى وكان على ثقة بان الانتخابات في الاقاليم ستضفي على الجمعية الوطنية قوة معنوية لم تكن لها في يوم من الايام ، وانه

* – جواسيس . الناشر .

سيحصل اخيراً من الاقاليم على القوة المادية اللازمة لاخضاع باريس .

ان الحرب اللصوصية التي شنها تيير على باريس والتي اطراها في نشراته الخاصة ، والمحاولات التي قام بها وزراؤه لاقامة حكم الارهاب في جميع انحاء فرنسا انما كان تيير حريصاً منذ البداية على ان يتممها بمهزلة صغيرة من المصالحة كان المقصود منها ان تخدم اكثر من غرض واحد : كان عليها ان تضلل الاقاليم وان تجتذب اليه عناصر الطبقة الوسطى في باريس وان تتيح ، قبل كل اعتبار ، الفرصة لاولئك الذين يقولون بانهم جمهوريون في الجمعية الوطنية لان يخفوا خيانتهم لباريس وراء ثقتهم بتيير . ففي ٢١ آذار (مارس) عندما كان تيير ما يزال بلا جيش ، صرح في الجمعية الوطنية قائلا :

« ليكن ما يكون ، فانني لن ارسل جيشاً الى باريس » .

وفي ٢٧ آذار صرح ثانية :

« لقد باشرت وظائفي ، والجمهورية امر واقع وانا مصمم كل التصميم على صيانتها » .

اما في الواقع فقد قمع الثورة في ليون ومرسيليا (٧٩) باسم الجمهورية بينما كان مجلسه ، «مجلس الملاكين العقاريين» في فرساي يستقبل بزعيق مسعور مجرد ذكر كلمة «الجمهورية» . وبعد هذه المأثرة المجيدة ، حط من «الامر الواقع» الى مستوى الامر الفرضي . والامراء الاورليانيون الذين ابعدهم عن بوردو من باب الاحتياط ، سنحت لهم الفرصة الآن ، خلافاً للقانون ، لحياكة الدسائس في دريو . ان الشروط التي كان تيير يذكرها في المداولات التي لم تنقطع مع نواب باريس ونواب الاقاليم – رغم ان تصريحاته كانت متعارضة في لهجتها ولونها حسب الوقت والظروف – قد انحصرت دائماً في وجوب الاخذ بالثأر من

« تلك الحفنة من المجرمين الذين لهم ضلع في قتل كليمان توما وليكونت » .

وعليه صار من المفروض بطبيعة الحال ان تعتبر باريس

وفرنسا دون شرط السيد تيير نفسه احسن الجمهوريات ، كما اعتبر تيير نفسه لويس فيليب في سنة ١٨٣٠ احسن الجمهوريات . ولكن حتى هذه التنازلات ، جهد تيير ان يجعلها محفوفة بالشكوك عن طريق التعليقات الرسمية التي كان يعقب بها وزراؤه في الجمعية الوطنية . غير انه لم يكتف بذلك بل قام بنشاطه بواسطة دوفور ايضاً . لقد كان دوفور ، المحامي الاورلياني القديم ، يلعب دائماً دور القاضي الاعلى في حالة الحصار سواء كما يفعل الآن عام ١٨٧١ في عهد تيير ، ام كما فعل عام ١٨٣٩ في عهد لويس فيليب وعام ١٨٤٩ في عهد رئاسة لويس بونابرت . وعندما لم يكن يشغل منصباً وزارياً ، جنى ثروة بالترافع عن رأسماليي باريس واكتسب رأسمالا سياسياً ، في الوقت نفسه بالتعدي على القوانين التي سنها هو نفسه . ولم يكتف بان مرر بصورة مستعجلة في الجمعية الوطنية مجموعة من القوانين القمعية كان القصد منها ، في حال سقوط باريس ، ان تستأصل آخر بقايا الحرية الجمهورية في فرنسا ، بل انه ايضاً كأنما اشار الى مصير باريس بالتدبير التالي : كانت اصول المحاكمات في المحاكم العسكرية تلوح له اصولا بطيئة للغاية فخفض آجالها (٨٠) واصدر قانوناً جائراً جديداً بشأن النفي . ان ثورة ١٨٤٨ كانت قد الغت عقوبة الموت على الجرائم السياسية واستعاضت عنها بالنفي . ولم يجرؤ لويس بونابرت ، بصورة سافرة على الاقل ، على ان يعيد حكم المقصلة من جديد . ولهذا فان جمعية الملاكين العقاريين التي لم تكن تملك حتى ذلك الحين من الشجاعة ما يجعلها قادرة على مجرد التلميح بان الباريسيين لم يكونوا في نظرها ثواراً بل قطاع طرق ، قد اضطرت الى ان تحصر تحضير الانتقام من باريس في حدود قانون النفي الجديد الذي وضعه دوفور . وفي مثل هذه الظروف ، لم يكن في وسع تيير ان يواصل تمثيل مهزلة المصالحة ، لو لم تثر هذه المهزلة – وهذا ما اراده في الحقيقـــة – ثائرة نواب «مجلس الملاكين العقاريين» وجنونهم اذ لم يستطيعوا ، لبلاهتهم ، ان يفهموا لا العوبته ولا ضرورة نفاقه وريائه ومماطلته .

ونظراً للانتخابات البلدية العتيدة في ٣٠ نيسان (ابريل) قام تيير في الـ٢٧ من الشهر نفسه بتمثيل مشهد من مهزلته ، مهزلة

المصالحة . ففي خضم طوفان من الجمل العاطفية هتف ، فيما هتف ، من على منبر الجمعية الوطنية :

« ليس هنالك من مؤامرة ضد الجمهورية سوى مؤامرة باريس التي ترغمنا على ان نريق الدم الفرنسي . ولكنني اكرر ايضاً : ليرموا اسلحتهم الكافرة اولئك الذين شهروها فرفعوها ، فنوقف نحن في الحال سيف العدالة ونعقد معاهدة صلح لا تستثني منها سوى حفنة من المجرمين » .

ورداً على الصيحات الهائجة من نواب «مجلس الملاكين العقاريين» الذين قاطعوا خطابه قال :

« اتوسل اليكم ، ايها السادة ، ان تقولوا لي ، الست على حق ؟ هل تأسفون حقاً اذا استطعت ان اقرر الحقيقة وهي ان المجرمين هم حفنة فحسب ؟ أليس من يمن الطالع في خضم مصائبنا ان يكون اولئك الذين استطاعوا ان يسفكوا دم الجنرال ليكونت والجنرال كليمان توما استثناء نادراً فقط ؟ »

بيد ان فرنسا بقيت صماء الاذنين لخطابات تيير الذي علل نفسه بأمل اسر الجميع باغنية حورية الماء البرلمانية . فمن بين الـ٧٠٠٠٠٠ مستشار بلدي الذين انتخبتهم الـ٣٥٠٠٠ من الوحدات الادارية التي كانت ما تزال باقية لفرنسا لم يستطع الليجيتيميون والاورليانيون والبونابرتيون مجتمعين ان يمرروا حتى ٨٠٠٠ من انصارهم . والانتخابات التكميلية ادت الى نتائج اكثر عداوة لحكومة تيير . وهكذا ، عوضاً عن ان تحصل الجمعية الوطنية من الاقاليم على القوة المادية الضرورية لها اقصى الضرورة ، فقدت حتى آخر حق في ان تكون قوة معنوية : حق اعتبار نفسها معبرة عن ارادة البلد العامة . وزيادة على الهزيمة ، وجهت المجالس البلدية التي انتخبت حديثاً في جميع المدن الفرنسية ، تهديداً مكشوفاً الى جمعية فرساي التي اغتصبت الحكم بانها ستشكل جمعية مضادة في بوردو .
وآنذاك اتت بيسمارك لحظة التدخل الحاسم التي طال انتظارها . فأمر تيير بلهجة الامير بأن يرسل مفوضين الى فرانكفورت لعقد الصلح نهائياً . وبادر تيير ، في طاعة ذليلة لامر مولاه وسيده ، وارسل الى فرانكفورت صفيه الامين جول فافر بصحبة بويه-كيرتيه . وبويه-كيرتيه هو صناعي «بارز» في صناعة

الاقمشة القطنية بمدينة روان وهو نصير متحمس بل ذليل من انصار الامبراطورية الثانية التي لم يجد فيها عيبـــاً من العيوب سوى المعاهدة التجاريـــة التي عقدتها مع انجلترا (٨١) وكانت ضارة بمصلحته بوصفه صاحب معامل . وما ان عينــه تيير في بوردو وزيراً للمالية حتى شرع يندد بهذه المعاهدة «المشؤومة» واشار تلميحاً الى قرب فسخها ، وقد بلغت به الوقاحة حداً جعله يحاول على الفور ، ولو على غير طائل (لانه لم يطلب الاذن من بيسمارك) ان يطبق من جديد رسوم الحماية الجمركية القديمـــة ضد الالزاس حيث لم تكن تقف حينذاك في طريقها ، كما قال ، اية معاهدات دولية سابقة . هذا الرجل كان يرى في الثورة المضادة وسيلة لتخفيض الاجور في روان وكان يعتبر التخلي عن الاقليمين الفرنسيين وسيلة لرفع اسعار سلعه في فرنسا . ألم يكن مقدراً لهذا الرجل ان يختاره تيير معاوناً لجول فافر قصد اقتراف خيانته الاخيرة ؟

لدى وصول هذا الزوج اللطيف من المفوضين الى فرانكفورت ، وضعهما بيسمارك بلهجة فظة وآمرة امام حلين لا ثالث لهمـــا : «اما اعادة الامبراطورية واما قبول شروط الصلح التي امليها بلا قيد او شرط !» وقد نصت شروطه على تقصير مواعيد دفع الغرامة الحربية وعلى احتلال حصون باريس من قبل البروسيين الى ان يظهر لدى بيسمارك اساس لان يكون راضياً عن اوضاع الامور في فرنسا . وبهذا اعترف لبروسيا بانها الحكم الاعلى في شؤون فرنسا الداخلية ! ومقابل ذلك ، عبر بيسمارك عن استعداده التام لان يفرج سبيل الجيش البونابرتي من الاسر قصد سحـــق باريس ، ولان يعززه مباشرة بجنود الامبراطور غليوم . وعربوناً على الوفاء بوعده ، أجّل دفع القسط الاول من الغرامة حتى «تهدئة» باريس . وطبعاً ، ابتلع تيير ومفوضاه طعماً كهذا الطعم بلهفة . ففي ١٠ ايار (مايو) ، وقعوا معاهدة الصلح وفي ١٨ منه اقرتها الجمعية الوطنية بفضل الجهود التي بذلوها .

وفي الفترة الواقعة فيمـــا بين عقد الصلح ورجوع الجنود البونابرتيين من الاسر ، رأى تيير من الضروري الاستمرار في عرض مهزلته ، مهزلة المصالحـــة . وقد ازداد ذلك ضرورة لان اذنابه الجمهوريين كانوا في امس الحاجة الى ذريعة مناسبة ليغضوا الطرف

عن تحضير مجزرة دموية في باريس . وفي ٨ ايار (مايو) كان قد اجاب على وفد من الطبقة الوسطى جاء يطلب منه ان يصالح بقوله :

«حالمـــا يوافق الثوار على الاستسلام ستفتح ابواب باريس لمدة اسبوع امام الجميع فيمـــا عدا قتلة الجنرال كليمان تومـــا والجنرال ليكونت» .

وعندما قام «مجلس الملاكين العقاريين» بعــــــد عدة ايام باستجواب تيير في شأن هذا الوعد ، وارب ، ولكنه لمّح تلميحاً ذا مغزى :

«انني اقول لكم ان بينكم رجالا عديمي الصبر ، رجالا في عجلة من الامر اكثر مما ينبغي . ليصبروا اسبوعاً آخر ؛ ولدى انتهاء الاسبوع ، لن يكون ثمة خطر ، وستكون المهمة متناسبة مع عزيمتهم ومع طاقاتهم» .

وحالما استطاع ماك-ماهون ان يؤكد له انه يدخل باريس بعد وقت قصير ، صرح تيير للجمعية الوطنية بانه

«سيدخل باريس **والقانون** في يده ويرغم الانذال الذين ارقوا دماء الجنود ودمروا النصب التذكارية العامة على ان يدفعوا ثمن جرائمهم» .

ولما دنت اللحظة الحاسمـــة صرح للجمعية الوطنية بانه «سيكون عديم الشفقة» ؛ وصرح لباريس بان الحكم عليها قد صدر وصرح لاشقيائه البونابرتيين بان الحكومة تسمح لهم بان ينتقموا من باريس على قدر ما يطيب لهم . واخيراً ، عندما فتحت الخيانة ابواب باريس امام الجنرال دويه في ٢١ ايار (مايو) ، كشف تيير في ٢٢ ايار «لمجلس الملاكين العقاريين» عن «الغاية» من مهزلـة المصالحة التي مثلها والتي امعن المجلس بعناد في عدم فهمها :

«قلت لكم منذ بضعة ايام اننا نقترب من **غايتنا** ؛ واليوم جئت اقول لكم اننا ادركنا **الغاية** . ان انتصار النظام والعدالـة والمدنية قد تحقق اخيراً !»

نعم ، كان هذا انتصاراً . ان مدنية النظام البرجوازي وعدالته تطلعان بضوئهما الحقيقي المشؤوم كلما هب العبيد والمظلومون ضد السادة . وعندئذ تكون هذه المدنية وهذه العدالة بربرية غير مقنعة وانتقامـــاً لا يعرف القانون . وكل ازمة جديدة في النضال

الطبقي بين منتجي الثروة ومتملكيها تزيد هذه الحقيقة سطوعاً . حتى الفظائع التي ارتكبتها البرجوازية في حزيران (يونيو) سنة ١٨٤٨ خبت ازاء قبائح سنة ١٨٧١ التي يعجز عنها الوصف . ان البطولة المتفانية التي قاتل بها شعب باريس كله – رجالا ونساء واطفالا – لمدة اسبوع كامل بعد دخول جنود فرساي الى المدينة لتعكس جلال قضيته بنفس السطوع الذي تعكس به فظائع الجنود الوحشية كل الروح التي جبلت عليها تلك المدنية التي كان هؤلاء المدافعين المأجورين عنها والمنتقمين لها . وانها لجليلة حقاً هذه المدنية التي واجهت مشكلة صعبة هي مشكلة التخلص من اكوام جثث الذين قتلتهم بعد انتهاء المعركة !

ولو اردنا ان نجد سلوكاً يوازي سلوك تيير وكلابه الدموية ، لترتب علينا ان نعود الى عهود سولاّ والثالوثين اللذين حكما روما (٨٢) . عين الذي حدث من ذبح للناس بالجملة بثبات جأش ؛ عين لامبالاة الجلادين لسن وجنس الضحايا ؛ عين النظام في تعذيب الاسرى ؛ عين الملاحقات ولكنها هذه المرة موجهة ضد طبقة بأسرها ؛ عين المطاردة الوحشية للقادة المختبئين لئلا يفلت منهم واحد ؛ عين الوشايات بالخصوم السياسيين والشخصيين ؛ عين اللامبالاة في ذبح اناس غرباء تماماً عن النزاع . ولكن هنالك فرقاً واحداً هو ان الرومان لم تكن لديهم المدافع الرشاشة يقتلون بها المحكوم عليهم بالموت افواجاً افواجاً ، ولم يكن «القانون في ايديهم» ولم تكن على شفاههم كلمة «المدنية» .

وبعد جميع هذه الفظائع ، انظروا الآن الى الوجه الآخر لتلك المدنية البرجوازية ، الى الوجه الاشد شناعة ، كما تصفه صحافتها ذاتها !

كتب مراسل احدى الصحف اللندنية التابعة لحزب المحافظين من باريس يقول :

«الطلقات ما تزال تلعلع عن بعد ؛ والجرحى الذين لا يعتني بهم احد يحتضرون وسط تماثيل مقبرة بير-لاشيز ؛ ستة آلاف من الثوار ، يتملكهم الرعب واليأس ، يهيمون على وجوههم تائهين في متاهات الدياميس ؛ في الشوارع يسوقون جماعات التعساء كي يقتلوهم برصاص المدافع الرشاشة . ومن المثير ان يرى المرء في مثل هذه اللحظة المقاهي مترعة بمدمني

5—145

الابسنت والبليياردو والدومنو ، والنساء الفاسقات يخطرن في البولفارات بوقاحة بينما الاصوات المعربدة العالية الداوية في cabinets particuliers *
في المطاعم الانيقة تفض سكون الليل !»

ويكتب المسيو ادوار هرفه في جريدة «Journal de Paris» (٨٣) وهي جريدة فرسالية الغتها الكومونة :

«ان الطريقة التي اظهر بها سكان باريس (!) ارتياحهم امس كانت اكثر من طائشة حقاً ونحن نخشى ان تزداد سوءاً مع مضي الوقت . ان باريس تظهر بمظهر يوم العيد وهو شيء في غير محله ؛ واذا اردنا الا نُسمّى Parisiens de la décadence * * ، فمن الواجب ان يوضع حد لهذا» .

ثم يورد مقطعاً من تاقيطس :

«وغداة ذلك الصراع الرهيب ، وحتى قبل ان ينقضي تماماً ، استغرقت روما ، مرة اخرى ، ساقطة فاسدة في حماة الفسق التي تهرم جسدها وتدنس روحها – alibi proelia et vulnera, alibi balneae popinaeque (هنا معارك وجراح ، وهناك حمامات وولائم)» .

الا ان المسيو هرفه ينسى فقط ان «سكان باريس» الذين يتحدث عنهم ما هم الا سكان باريس تيير ، باريس francs-fileurs الذين عادوا زرافات من فرساي وسان-ديني ورويي وسان-جرمان ؛ انها باريس «زمان الانحطاط» **حقاً** .

ان تلك المدنية المجرمة التي تستند الى استعباد العمل تعمد عند كل انتصار دموي الى اغراق صيحات ضحاياها ، الابطال الذين يضحون بارواحهم في سبيل مجتمع جديد افضل ، بزعيق من الملاحقات والافتراءات يتردد صداها في جميع انحاء الدنيا . ان باريس العمال الهادئة ، باريس الكومونة تتحول فجأة الى جهنم على ايدي كلاب حراسة «النظام» المتعطشة الى الدماء . وماذا يثبت هذا التحول الهائل لعقل البرجوازية في جميع الاقطار ؟ انه يثبت فقط ان الكومونة قد دبرت المؤامرة ضد المدنية ! ان شعب باريس يضحي

* – مقاصير خصوصية .**الناشر** .
* * – باريسيو زمان الانحطاط . **الناشر** .

بنفسه من اجل الكومونة : ان معركة من معارك التاريخ لم تعرف مثل هذا القدر من التفاني ونكران الذات . ماذا يعني ذلك ؟ يعني فقط ان الكومونة لم تكن حكومة الشعب بل هي اغتصاب الحكم من طرف حفنة من المجرمين ! ونساء باريس يمتن ، قريرات العيون ، عند المتاريس وفي مكان الاعدام . ماذا يعني هذا ؟ يعني فقط ان روح الكومونة الشريرة قد جعلت منهن ميغيرات وهيكاتات (٨٤) ! الاعتدال الذي ابدته الكومونة في اثناء حكمها الذي لم يكن ينازعها فيه منازع طيلة شهرين لا يعادله الا البطولة التي ابدتها في الدفاع . ماذا يعني ذلك ؟ يعني فقط ان الكومونة قد اخفت طيلة شهرين تحت قناع من الاعتدال والانسانية تعطش غرائزها الجهنمية الى الدماء لكي تطلقها في اثناء غمرات الموت !

ان باريس العمال قد اضرمت النار ، خلال التضحية بنفسها على نحو بطولي ، في بنايات ونصب تذكارية . وعندما يمزق ظالمو البروليتاريا جسدها الحي ارباً ارباً ، لا يجوز ان يتوقعوا بعد ذلك ان يعودوا ظافرين الى مساكنهم السليمة . ان حكومة فرساي تصرخ : «حرق متعمد !» وتهمس في آذان اذيالها حتى في اقصى قرية ، الشعار التالي : «طاردوا اعدائي في كل مكان بوصفهم مجرد حارقين متعمدين» . ان برجوازية العالم كله التي تنظر بعين الرضى الى تقتيل الناس بعد المعركة ، تستاء من «تدنيس» الآجر والملاط !

عندما تعطي الحكومات تصاريح رسمية الى اساطيلها الحربية بان «تقتل **وتحرق** وتدمر» ، فهل ذلك تصريح بالحرق المتعمد ؟ وعندما اشعل الجنود الانجليز النيران استهتاراً بالكابيتول في واشنطن وبالقصر الصيفي لامبراطور الصين (٨٥) — فهل كان ذلك حرقاً متعمداً ؟ وعندما كان البروسيون يعمدون ، لا لمقتضيات عسكرية بل لمجرد ارواء غليلهم بالانتقام ، الى احراق مدن مثل شاتودن وعدد لا يحصى من القرى مستعينين بالكاز—فهل كان ذلك حرقاً متعمداً ؟ وعندما اقدم تيير على قصف باريس بالمدفعية طوال ستة اسابيع بحجة انه كان يريد اشعال النيران في البيوت المأهولة فحسب ، فهل كان ذلك حرقاً متعمداً ؟ — ان النار هي سلاح شرعي في الحروب كأي سلاح آخر . المباني الواقعة في

قبضة العدو تقذف بالقنابل لاشعال النار فيها . واذا اضطر الذين يدافعون عنها الى الانسحاب ، فهم يتولون بانفسهم اشعال النار فيها ليمنعوا المهاجمين من الاستحكام فيها . ولقد كان الحرق هو المصير المحتوم لكل المباني التى كانت تقع في المعركة امام اي جيش نظامي . ولكن في حرب العبيد ضد ظالميهم ، وهي الحرب المشروعة الوحيدة في التاريخ ، يحسبون هذه الاجراءات غير مسموح بها على الاطلاق ! ان الكومونة كانت تستخدم النار كوسيلة دفاعية بكل معنى هذه الكلمة ؛ فقد استخدمتها لكي تمنــع جنود فرساي من دخول تلك الشوارع الطويلة المستقيمة التي صممها هوسمــان خصيصاً لاطلاق نيران المدفعية عليها ؛ استخدمتها لتغطي انسحابها بالطريقة ذاتها التي كان يستخدم بها جنود فرساي ، اثناء هجومهم ، قذائفهم التي دمرت من المباني ما لا يقل عن المباني التي دمرتها نار الكومونة . وانــه لموضع خلاف ، حتى الوقت الحاضر ، اي مباني احرقها المهاجمون وايها احرقها المدافعون . ثم ان المدافعين لم يلجأوا الى النار الا في ذلك الوقت الذي كان جنود فرساي قد باشروا فيه قتــل الاسرى بصورة جماعيــة . — اضف الى هذا ان الكومونة كانت قد اعلنت مسبقاً وعلى المكشوف ، انها لو دفعتها الى ذلك الضرورة القصوى ، ستدفن نفسها تحت انقاض باريس وستجعل من باريس موسكو ثانية ؛ ففي الماضي اعطت مثل هذا الوعد حكومة الدفاع الوطني ولكن كمجرد قناع تستر به خيانتها . لهذا الغرض اوجد تروشو احتياطاً من الكاز . لقد كانت الكومونة تعرف ان اعداءها لا يأبهون مطلقاً لارواح سكان باريس ولكنهم يحرصون حرصاً شديداً على بيوتهم في باريس . واعلن تيير من جهته انه لن تأخذه في انتقامه رحمة . وما ان اصبح جيشه جاهزاً للقتال ، من جهة ، وما ان اوصد البروسيون جميع المخارج ، من جهة اخرى ، حتى صاح : «سأكون عديم الشفقة ! يجب ان يكون التكفير تاماً والعدالة صارمة !» واذا كانت اعمــال عمال باريس همجية فقد كانت همجية الدفاع عن يأس ، لا همجية المنتصرين الظافرين ، كتلك التي اقترفها المسيحيون اذ خربوا الآثار الفنية التي لا تقدر بثمن حقاً ، مما خلفه العالم الوثني القديم ؛ وحتى تلك الهمجية بررها المؤرخ على اعتبار انها امر لا مناص منه ، امر

تافه نسبياً ، رافق ذلك الصراع الجبار بين مجتمع جديد ينهض ومجتمع قديم ينهار . وكانت اجراءات عمال باريس هذه اهون بما لا يقاس من وحشية هوسمان الذي هدم باريس التاريخية ليخلي مكاناً لباريس النصابين !

اما اعدام الكومونة لاربع وستين من الرهائن وعلى رأسهم رئيس اساقفة باريس ! ان البرجوازية وجيشها قد جددا في حزيران (يونيو) ١٨٤٨ عادة من عادات الحروب التي زالت منذ زمن بعيد وهي قتل الاسرى العزل بالرصاص . ومنذ ذلك الحين طبقت هذه العادة الوحشية الى حد معلوم في جميع اعمال التنكيل بالانتفاضات الشعبية في اوروبا والهند مما يدل بجلاء ووضوح على انها «تقدم المدنية» الحقيقي ! ومن ناحية اخرى اعاد البروسيون في فرنسا عادة اخذ الرهائن – اناس ابرياء كان عليهم ان يتحملوا ، بثمن حياتهم ، مسؤولية اعمال قام بها اناس آخرون . وعندما عمد تيير منذ بداية الحرب ضد باريس ، كما رأينا ، الى تطبيق العادة الانسانية القائلة بقتل الاسرى الكومونيين رمياً بالرصاص ، اضطرت الكومونة ، حماية لارواح هؤلاء الاسرى ، ان تلجأ الى العادة البروسية في اخذ الرهائن . وبما ان الفرساليين كانوا ، مع ذلك ، يواصلون قتل الاسرى رمياً بالرصاص ، فقد عرضوا بانفسهم رهائنهم للاعدام . وكيف يمكن الابقاء على حياتهم امداً اطول بعد حمام دم احتفل به بريتوريو (٨٦) ماك-ماهون بدخولهم الى باريس ؟ وهل كان على الحماية الاخيرة ، اي اخذ الرهائن ، لردع وحشية الحكومة البرجوازية التي لا تتورع عن ارتكاب اي فعل فظيع ، ان تبقى مجرد نكتة ؟ ان القاتل الحقيقي لرئيس الاساقفة داربوا هو تيير . فالكومونة قد عرضت عدة مرات مبادلة رئيس الاساقفة ، ومعه عدد كبير من القساوسة الآخرين ، ببلانكي وحده لا غير ، وقد كان آنذاك في قبضة تيير . ولكن تيير رفض هذه المبادلة بعناد . كان يدرك انه سيعطي الكومونة رأساً ، اذا اطلق سراح بلانكي ، بينما كان رئيس الاساقفة يخدم اغراضه على افضل وجه وهو في صورة جثة . في هذه الحالة كان تيير يقلد كافينياك . فباي صيحات من الاستياء اتهم كافينياك و«رجال النظام» من اتباعه ، في حزيران (يونيو) ١٨٤٨ ، الثوار بانهم قتلة رئيس الاساقفة آفر !

واقع الامر انهم كانوا يدركون تمام الادراك ان رئيس الاساقفة قد قتله جنود حزب النظام . فان السيد جاكمه ، الوكيل العام لرئيس الاساقفة الذي كان حاضراً في مكان الحادث ، كان قد اكد هذا لهم بعد الحادث مباشرة .

وواقع ان حزب النظام كان ينشر بعد جميع ولائمه الدموية التهتكية هذا القدر من الافتراء عن ضحاياه ، لا يدل الا على ان برجوازيي ايامنا يعتبرون انفسهم الورثة الشرعيين للاقطاعيين السابقين الذين اعترفوا لانفسهم بحق استعمال اي سلاح كان ضد العامة بينما كان اي سلاح من اي نوع في يد احد العامة يشكل في حد ذاته جريمة .

ان مؤامرة الطبقة السائدة لقمع الثورة عن طريق حرب اهلية ، تحت رعاية الغازي الاجنبي ، وهي مؤامرة تتبعناها منذ ٤ ايلول (سبتمبر) وحتى دخول بريتوريي ماك-ماهون بوابة سان-كلو ، ان هذه المؤامرة قد انتهت بمجزرة دموية في باريس . ان بيسمارك يتأمل معجباً بنفسه اطلال باريس التي ربما رأى فيها الخطوة الاولى من ذلك الدمار الشامل للمدن الكبرى ، الذي كان يحلم به وهو ما يزال بعد ملاكاً عقارياً بسيطاً – نائباً في chambre introuvable البروسي لسنة ١٨٤٩ (٨٧) . انه يتأمل برضى النفس جثث بروليتاريي باريس . وليس الامر بالنسبة له مجرد استئصال للثورة بل سحق فرنسا التي تم الآن قطع رأسها فعلا ، وبيد الحكومة الفرنسية ذاتها . وهو ، بتلك السطحية التي يتميز بها جميع رجال الدولة الموفقين ، لا يرى الا ظاهرة من هذا الحدث التاريخي الهائل . ومتى ارانا التاريخ من قبل فاتحاً عزم على ان يتوج نصره لا بدور دركي وحسب بل ايضاً بدور قاتل مأجور في يد الحكومة المغلوب على امرها ؟ لم تكن هنالك اية حرب بين بروسيا والكومونة . بل بالعكس ، فان الكومونة قد قبلت بالشروط التمهيدية للصلح واعلنت بروسيا التزامها الحياد . ولذلك لم تكن بروسيا طرفاً في القتال . لقد قامت بدور القاتل السافل ، لانها باشرت امراً لا يهددها باي خطر ، لقد قامت بدور قاتل مأجور لانها اشترطت مقدماً دفع ثمن القتل الدموي وقدره ٥٠٠ مليون ، بسقوط باريس . وهنا بالضبط ظهر اخيراً الطابع

الحقيقي للحرب التي قدرتها العناية الالهية قصاصاً لفرنسا الكافرة الفاجرة بيد المانيا التقية القويمة الاخلاق ! وهذا الخرق الذي لا نظير له للحقوق الدولية ، حتى من وجهة نظر حقوقيي العالم القديم ، بدلا من ان يرغم الحكومات «المتمدنة» في اوروبا على ان تعلن حكومة بروسيا المجرمة ، وهي مجرد اداة في يد وزارة سانت-بطرسبورغ ، خارج القانون ، هذا الخرق اتاح لها فقط حجة للبحث فيما اذا كان من الاجدر تسليم الضحايا القلائل الذين تسنى لهم ان يفلتوا من الطوق المزدوج المضروب حول باريس الى جلاد فرساي !

وبعد افظع حرب من حروب الازمنة الحديثة ، اجتمع الجيش الغالب والجيش المغلوب من اجل الاشتراك في التنكيل الدموي بالبروليتاريا . ان هذا الحدث الخارق لا يبرهن ، كما ظن بيسمارك ، على ان المجتمع الجديد الذي يشق طريقه قد غلب على امره نهائياً – كلا ، انه يبرهن على التفسخ التام في المجتمع البرجوازي القديم . وعلى وثبة بطولية كان المجتمع القديم ما يزال قادراً على القيام بها هي الحرب القومية ، وقد ثبت الآن ان هذه ليست سوى تدليس صرف من الحكومة ؛ اما القصد الوحيد من هذا التدليس فهو ارجاء النضال الطبقي ، وحين ينشب النضال الطبقي ويتحول الى حرب اهلية ، يتناثر التدليس هباء . ان السيطرة الطبقية لم تعد قادرة على التنكر في ثوب قومي ؛ ان الحكومات القومية ضد البروليتاريا هي **يد واحدة** !

بعد عيد العنصرة من عام ١٨٧١ لم يعد هنالك مكان لا لصلح ولا لهدنة بين العمال الفرنسيين ومتملكي نتاج عملهم . ان اليد الحديدية للجنود المرتزقة قد تستطيع ان تسحق هاتين الطبقتين ، بعض الوقت ، بيد ان المعركة بينهما ستنشب مرة اخرى ولا بدّ ان تحتدم بشدة متزايدة ؛ ولا يمكن ان يكون هنالك من شك فيمن سيكون المنتصر آخر الامر – الاقلية المتملكة ام الاكثرية الساحقة من الشغيلة . وما العمال الفرنسيون الا طليعة البروليتاريا الحديثة قاطبة .

لقد اظهرت الحكومات الاوروبية امام باريس طابع السيطرة الطبقية العالمي ، وهي نفسها ترفع عقيرتها في العالم كله صارخة

ان السبب الرئيسي لجميع المصائب هو جمعية الشغيلة العالمية ، اي منظمة العمل العالميـــة التي تقف في وجه مؤامرة الرأسمـال العالمية . ان تيير يتهم هذه المنظمة بانها طاغية العمل وبانهـا تدعي انها محررته . ومنع بيكار كل الاتصالات بين اعضاء الاممية الفرنسيين واعضائها في الخارج ؛ واعلن الكونت جوبير ، وهـو الشريك المتحنط لتيير في حوادث سنة ١٨٣٥ ، ان اجتثاث الاممية من جذورها يجب ان يكون الواجب الرئيسي امام كل حكومة في بلــد متمدن . ان «مجلس الملاكين العقاريين» يزمجر ضدهـا والصحافة الاوروبية تؤيده جامعة اصواتها في جوقة واحدة . قال عن جمعيتنا كاتب فرنسي محترم * وهو لا يمت اليهـا بصلة ، ما يلي :

«ان اعضاء اللجنة المركزية للحرس الوطني وكذلك الشطر الاعظم من اعضاء الكومونة هم اكثر العقول نشاطاً وذكاء وهمة في جمعية الشغيلة العالمية . . . ولا ريب انهم اناس امناء ، مخلصون ، اذكياء ، متفانون منتهى التفاني ، انقياء ومتعصبون في **احسن** معاني هذه الكلمة» .

طبيعي ان العقل البرجوازي المشرب بالبوليسية يصور لنفسه جمعية الشغيلة العالمية بأنها جمعية متآمرة سرية ، تصدر هيئة ادارتها المركزية الاوامر من وقت لآخر بالقيام بانتفاضات في اقطار مختلفة . اما في الواقع فان جمعيتنا ليست الا اتحاداً عالمياً يوحد العمال الطليعيين من مختلف اقطار العالم المتحضر . ومن الطبيعي ان يقف اعضاء جمعيتنا في المقدمة حيثما ينشب النضال الطبقي واياً كان الشكل الذي يرتديه واياً كانت الظروف التي يصبح فيها ملموساً . ان التربة التي تنمو عليها هذه الجمعية هي المجتمـع الحديث بالذات . ولا يمكن استئصال هذه الجمعية مهما اريق من الدماء . ولاستئصالها ينبغي على الحكومات ان تستأصل طغيـان الرأسمال على العمـل ، اي ان تستأصل اساس وجودها الطفيلي بالذات .

ان باريس العمال ، وكومونتهـا ، ستظلان الى الابد موضع التبجيل ، بوصفهما البشير المجيد بمجتمع جديد . وشهداؤهـا

---

* يبدو انه روبينه . **الناشر** .

مثواهم الابدي قلب الطبقة العاملة الكبير . وجلادوها سمرهـــم التاريخ الآن على خشبة العار التي لن تجدي في تخليصهم منها جميع الصلوات التى يرددها كهنتهم .

هاي هولبورن ، رقم ٢٥٦ ،
لندن ، وسترن سنترال ،
٣٠ ايار (مايو) سنة ١٨٧١

ملحقان

١

«وقف طابور المقبوض عليهم في شارع اوريك ، ثم اصطف في صفوف من اربعة او خمسة اشخاص على الرصيف مديرين ظهورهم لجدران البيوت. ترجل الجنرال المركيز دي غاليفه واركان حربه وشرعوا في التفتيش من يسار الصف . وبينما كان الجنرال يمشي الهوينى ويعاين الصفوف ، كان يتوقف هنا وهناك ويخبط بيده على كتف احد الاشخاص او يومئ اليه ليخرج من الصفوف الخلفية . وفي معظم الحالات كان الشخص الذي يختار على هذا الوجه ، يجبر على الخروج ، دونما اية مداولة ، الى منتصف الشارع ، حيث تشكل بعد وقت قصير طابور جديد اصغر حجماً ... ومن الواضح انه كان هنالك مجال كبير للخطأ . حدث ان دل احد الضباط الخيالة الجنرال غاليفه على رجل وامرأة ارتكبا ، على حد زعمه ، جريمة خاصة . فاندفعت الامرأة من بين الصفوف وجثت على ركبتيها ، وبذراعين ممدودتين اقامت الحجة على براءتها في عبارات مؤثرة . انتظر الجنرال بعض الوقت ثم قال بوجه جامد التقاطيع وبمظهر خال تماماً من اي لون من الانفعال : «ايتها السيدة ، لقد زرت كل مسارح باريس – لا تجهدي نفسك ولا تلعبي كوميديا (ce n'est pas la peine de jouer la comédie) »... لم يكن بالشيء الحسن في ذلك اليوم ان يكون المرء اطول من جيرانه ، على نحو ملحوظ ، او اقذر او انظف او اكبر سناً او اقبح . لقد ادهشني بوجه خاص احد الاشخاص . ربما كان مديناً بتخليصه السريع من شرور هذه الدنيا لانفه المجدوع ... وبعد ان تم اختيار ما يزيد عن المائة على هذا الوجه وتم فرز فريق للاعدام ، استأنف الطابور سيره مخلفاً اياهم وراءه . وبعد دقائق قلائل بدأ اطلاق النار في مؤخرتنا ودام اكثر من ربع ساعة . كان ذلك تنفيذ الاعدام بهؤلاء التعساء الذين جرت ادانتهم بصفة مستعجلة». (مراسل صحيفة «Daily News» في باريس ، ٨ حزيران – يونيو .) (٨٨)

غاليفه هذا «قواد زوجته التي نالت شهرة واسعة بعرض جسمها بصورة ماجنة عديمة الحياء في حفلات التهتك زمن

الامبراطورية الثانية» ، كان يطلق عليه في إثناء الحرب اسم «الملازم الثاني» الفرنسي «بيستول» .

«تروي صحيفة «Temps» (٨٩) وهي صحيفة حذرة ليس من دابها الاثارة ، قصة مفزعة عن اناس لم يصابوا برصاصات قاتلة ودفنوا قبل ان تفارق اجسادهم الحياة . وقد دفن عدد كبير منهم في البولفار المحيط بسان-جاك-لا-بوشري ، الكثير منهم بصورة سطحية للغاية . وفي اوقات النهار كانت جلبة الشوارع تحول دون ان يسمع احد شيئاً من هذا ، ولكن في هدوء الليل كان سكان البيوت المجاورة يفيقون على صوت الانات الصادرة من بعيد ، وفي الصباح كانوا يرون يداً مقبوضة تبرز من خلال التراب . ومن جراء ذلك صدرت الاوامر باخراج المدفونين . . . ولا يساورني ادنى شك في ان كثيرين من الجرحى قد دفنوا وهم على قيد الحياة . وهناك حادثة اقطع بصحتها . عندما قتل برونيل وعشيقته رمياً بالرصاص في اليوم الرابع والعشرين في ساحة احد البيوت في ميدان فندوم ، بقي الجسدان هناك حتى مساء اليوم السابع والعشرين . وعندما اتت فرقة الدفن لتاخذ الجثث وجدوا المرأة ما تزال على قيد الحياة فاخذوها الى مستشفى . ورغم اصابتها باربع طلقات ، جاوزت الآن مرحلة الخطر» . (مراسل صحيفة «Evening Standard» (٩٠) في باريس ، ٨ حزيران - يونيو .)

٢

ظهرت الرسالة التالية (٩١) في جريدة «Times» اللندنية ١٣ حزيران (يونيو) .

الى محرر جريدة «Times»

سيدي المحترم !

في ٦ من حزيران (يونيو) سنة ١٨٧١ وجه جول فافر منشوراً الى جميع الدول الاوروبية يدعوها فيه الى النضال ضد جمعية الشغيلة العالمية حتى القضاء عليها . ان ملاحظات قليلة تكفي لبيان خصائص هذه الوثيقة .

لقد ذكر في مقدمة نظامنا الداخلي ان الاممية أسست «في ٢٨ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٦٤ في اجتماع علني عقد في سانت-مارتنس-هول ، في لونغ-ايكر بلندن» . ان جول فافر ينقل تاريخ نشأتها ، لاسباب يعرفها احسن من غيره ، الى ما قبل عام ١٨٦٢ .

ولكي يشرح مبادئنا ، يدعي بانه يقتطف من «منشورها» (اي منشور الاممية) «المـؤرخ في ٢٥ من آذار (مارس) عام ١٨٦٩» . وما الذي يقتطفه في الحقيقة ؟ منشور جمعية ليست هي بالاممية على الاطلاق . ان هذا النوع من المناورة كان قد لجأ اليه من قبل عندما كان عليه ان يدافع ، وهو ما يزال بعد محامياً ناشئاً نسبياً ، عن جريدة «National» الباريسية التي قاضاها كابه بتهمة الافتـراء . لقد زعم آنذاك انه يقرأ مقتطفات من كراريس كابه بينما كان يقرأ عبارات مدسوسة من عنده . وهي حيلة فضحت اثناء انعقاد المحكمة وكان جول فافر سيعاقب ، لولا تسامـح كابه ، بطرده من هيئة المحامين في باريس . وليس هنالك في عداد جميع الوثائق التي يسردها بوصفها وثائق للاممية ، وثيقة واحدة تخص الاممية . انه يقول مثلا :

«يقول المجلس العـام الذي أسس في لندن في شهر تموز (يوليو) سنة ١٨٦٩ ان الحلف يعلن نفسه ملحداً» .

ان المجلس العام لـم يصدر وثيقة كهذه على الاطلاق . بل بالعكس ، فقـد نشر وثيقة * فسخت النظـام الداخلي للحلف L'Alliance de la Démocratie Socialiste ** في جنيف - الـذي يورده جول فافر .

وفي كامل هذا المنشور الذي يُزعم بانـه موجه جزئياً ضد الامبراطورية ايضاً ، يكرر جول فافر فقط التلفيقات البوليسية التي لفقها المدعون العامون البونابرتيون والتي دحضت حتى امام محاكم الامبراطورية ذاتها .

من المعروف ان مجلس الاممية العام ، في النداءين اللذين اصدرهما (في تموز - يوليو وايلول - سبتمبر من السنة الماضية) بصدد الحرب الاخيرة *** ، قد فضح مشروعات الفتح التي اعدتها بروسيا ضد فرنسـا . وفيمـا بعد طلب السيد رايتلينجر ، السكرتير الخاص لجول فافر ، من بعض اعضاء المجلس العام ،

* راجع **ماركس** . «جمعية الشغيلة العالمية وحلف الديموقراطية الاشتراكية» . **الناشر** .

** - حلف الديموقراطية الاشتراكية . **الناشر** .

*** راجع هذا الكتاب ، ص - ١٩-٢٤ ، ٢٥-٣٣ . **الناشر** .

بلا جدوى بطبيعة الحال ، ان يتوصلوا الى ان يعمل المجلس بصورة تلفت النظر ضد بيسمارك وتأييداً لحكومة الدفاع الوطني ؛ ورجا هؤلاء بصفة خاصة الا يذكروا الجمهوريــة . ان التحضيرات التي جرت للقيام بمظاهرة لمناسبة زيارة جول فافر المنتظرة الى لندن قد تمت - باحسن النوايا من غير شك - رغماً عن المجلس العام الذي حذر عمال باريس مسبقاً وبصورة واضحة في ندائه الصادر في ٩ ايلول (سبتمبر) من جول فافر وزملائه .

وماذا يقول جول فافر نفسه لو ان مجلس الاممية العام ارسل بدوره منشوراً حول جول فافر الى جميع مجالس الوزراء في اوروبا يلفت فيه انتباههـــا الخاص الى الوثائق التي نشرها في باريس المرحوم السيد ميلييير ؟

اني ، يا سيدي المحترم ، لا ازال خادمكم المطيع

جون هيلز

سكرتير المجلس العام

لجمعية الشغيلة العالمية

هاي هولبورن ، رقم ٢٥٦ ، لندن ،

وسترن سنترال ، ١٢ حزيران (يونيو)

ونشرت صحيفة «Spectator» (٩٢) اللندنيـــة (الصادرة في ٢٤ حزيران-يونيو) مقالا حول «الجمعية العالمية واهدافها» عمدت فيه ، بصفتها واشية ورعة ، الى الاقتطاف من وثيقة الحلف المشار اليها آنفا على انها من انتاج الاممية ، وذلك بصورة قد تكون اوفى مما فعل جول فافر كما عمدت الى غير ذلك من اعمال المكر . وقد طبعت ذلك بعد احد عشر يوماً من نشر التكذيب الوارد اعلاه ، في جريدة «Times» . اننا لا ندهش لهذا . فقد كان فريدريك الاكبر يقول ان اليسوعيين البروتستانت هم شر اليسوعيين كافة .

كتبه ماركس في نيسان - ايار (ابريل - مايو) عام ١٨٧١

صدر بكراس على حدة في لندن في اواسط حزيران (يونيو) عام ١٨٧١ ، وصدر خلال ١٨٧١-١٨٧٢ في مختلف بلدان اوروبا وفي الولايـــات المتحدة الاميركية

كتب باللغة الانجليزية

ملاحظات

١ – **«الحرب الاهلية في فرنسا»** – مؤلف من أهم المؤلفات في الشيوعية العلمية ؛ وقد طور فيه ماركس ، بالاستناد الى تجربة كومونة باريس ، موضوعات المذهب الماركسي الاساسية بشأن النضال الطبقي والدولة والثورة وديكتاتورية البروليتاريا . وقد كتبه ماركس بصفة نداء من المجلس العام للاممية الى جميع اعضاء جمعية الشغيلة العالمية في اوروبا والولايات المتحدة الاميركية ؛ وكان هدفه تسليح الطبقة العاملة في جميع البلدان بفهم كنه واهمية نضال الكومونيين البطولي ، وجعل تجربة هذا النضال التاريخية العالمية ملكاً للبروليتاريا جمعاء .

في هذا المؤلف اكد ماركس وطور اكثر من ذي قبل الموضوعة التي سبق وعرضها في مؤلفه «الثامن عشر من بروميير لويس بونابرت» والقائلة انه ينبغي على البروليتاريا ان تحطم آلة الدولة البرجوازية . ويخلص ماركس الى القول ان «الطبقة العاملة لا تستطيع ان تكتفي بامتلاك آلة الدولة الجاهزة واستعمالها في اغراضها» (راجع هذا الكتاب ، ص ٥٥) ؛ بل يجب عليها ان تحطمها وتستعيض عنها بدولة من طراز كومونة باريس . ان استنتاج ماركس هذا بصدد الدولة من طراز جديد – من طراز كومونة باريس – بوصفها شكل الدولة لديكتاتورية البروليتاريا ، يشكل المضمون الرئيسي لذلك القسط الجديد الذي اسهم به ماركس في النظرية الثورية .

حظي مؤلف ماركس «الحرب الاهلية في فرنسا» بواسع الانتشار . وفي سنتي ١٨٧١ و١٨٧٢ ترجم الى عدد من اللغات ونشر في مختلف بلدان اوروبا وفي الولايات المتحدة الاميركية . — ص ٣

٢ — كتب انجلس هذه المقدمة لأجل الطبعة الالمانية اليوبيلية الثالثة لمؤلف ماركس «الحرب الاهلية في فرنسا» التي صدرت في سنة ١٨٩١ لمناسبة الذكرى السنوية العشرين لكومونة باريس . اشار انجلس في مقدمته الى الاهمية التاريخية لتجربة كومونة باريس والى تعميمها النظري من قبل ماركس في مؤلفه «الحرب الاهلية في فرنسا» وادخل كذلك عدداً من الاضافات المتعلقة بتاريخ كومونة باريس عموما وبنشاط البلانكيين والبرودونيين المشتركين في الكومونة خصوصاً . وفي هذه الطبعة ، ادرج انجلس النداء الاول والنداء الثاني للمجلس العام لجمعية الشغيلة العالمية ، اللذين كتبهما ماركس ، بشأن الحرب الفرنسية البروسية ، واللذين كانا عادة ينشران كذلك في الطبعات المنفردة التالية بمختلف اللغات مع «الحرب الاهلية في فرنسا» . — ص ٣

٣ — المقصود هنا حرب التحرر الوطني للشعب الالماني ضد سيادة نابليون في سنتي ١٨١٣ و١٨١٤ . — ص ٤

٤ — **القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين** — صدر في المانيا في ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٧٨ . بموجب هذا القانون ، منعت جميع منظمات الحزب الاشتراكي-الديموقراطي ، ومنظمات العمال الجماهيرية ، والصحافة العمالية ، وصودرت المطبوعات الاشتراكية ، وتعرض الاشتراكيون-الديموقراطيون لاعمال القمع . تحت ضغط الحركة العمالية الجماهيرية ، الغي القانون في اول تشرين الاول ١٨٩٠ . — ص ٤

٥ — **الديماغوجيون** — هكذا كانوا يسمون في المانيا في العشرينيات من القرن التاسع عشر المشتركين في حركة المعارضة في اوساط المثقفين الالمان ؛ كان اعضاء الحركة يعارضون النظام الرجعي في الدويلات

الالمانية ويطالبون بتوحيد المانيا . تعرض «الديماغوجيون» لملاحقات قاسية من جانب السلطات الالمانية . — ص ٤

٦ – المقصود هنا الثورة البرجوازية في تموز (يوليو) ١٨٣٠ في فرنسا . — ص ٦

٧ – المقصود هنا الحروب الاهلية التي استمرت من عام ٤٤ الى عام ٢٧ ق . م . وانتهت باقامة الامبراطورية الرومانية . — ص ٦

٨ – المقصود هنا الليجيتيميون والاورليانيون والبونابرتيون .

الليجيتيميون (الشرعيون) – حزب انصار سلالة بوربون التي اطيح بها في فرنسا سنة ١٧٩٢ . كان هذا الحزب يمثل مصالح الاريستقراطية العقارية الكبيرة وكبار رجال الدين . تشكل هذا الحزب كحزب سنة ١٨٣٠ بعد اسقاط هذه السلالة للمرة الثانية . في سنة ١٨٧١ ، انخرط الليجيتيميون في زحف القوى المعادية للثورة العام ضد كومونة باريس .

الاورليانيون – انصار دوقات اورليان ، الفرع الاصغر من سلالة بوربون الذي استولى على السلطة منذ ثورة تموز (يوليو) ١٨٣٠ واطاحت به ثورة ١٨٤٨ . كان الاورليانيون يمثلون مصالح الاريستقراطية المالية والبرجوازية الكبيرة . — ص ٧

٩ – المقصود هنا الانقلاب الذي قام به لويس بونابرت في ٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ وارسى بداية وجود نظام الامبراطورية الثانية البونابرتي . — ص ٧

١٠ – اعلنت الجمهورية الاولى عام ١٧٩٢ ابان الثورة البرجوازية الفرنسية الكبرى في اواخر القرن الثامن عشر ؛ ثم حل محلها النظام القنصلي ، ثم الامبراطورية الاولى لنابليون الاول بونابرت (١٨٠٤–١٨١٤) . في هذه المرحلة ، خاضت فرنسا غمار حروب عديدة ادت بالنتيجة الى توسيع حدود الدولة كثيراً . — ص ٧

١١ – في ٢ ايلول (سبتمبر) مني الجيش الفرنسي بالهزيمة في **سيدان** ووقع في الاسر مع الامبراطور . ومن ٥ ايلول ١٨٧٠ الى ١٩ آذار (مارس) ١٨٧١ بقي نابليون الثالث وقواده محجوزين في ولهلمسهوي (في جوار كاسل) وهو قصر لملوك بروسيا . عجلت كارثة سيدان انهيار الامبراطورية الثانية وادت الى اعلان الجمهورية

في فرنسا في ٤ ايلول ١٨٧٠ . وتشكلت حكومة جديدة أسميت « بحكومة الدفاع الوطني » . — ص ٨

١٢ ـ المقصود هنا معاهدة الصلح التمهيدية بين فرنسا والمانيا ، التي وقعها في فرساي في ٢٦ شباط (فبراير) ١٨٧١ تيير وفافر من جهة ، وبيسمارك من جهة اخرى . بموجب شروط هذه المعاهدة تنازلت فرنسا لالمانيا عن الالزاس وعن اللورين الشرقية ودفعت غرامة قدرها ٥ مليارات فرنك . تم التوقيع على معاهدة الصلح النهائية في فرانكفورت على الماين في ١٠ ايار (مايو) ١٨٧١ . — ص ٩

١٣ — **الامكانيون** (possibilistes) — تيار انتهازي في الحركة الاشتراكية الفرنسية ترأسه بروس ومالون وغيرهما الذين استثاروا انشقاقاً في حزب العمال الفرنسي سنة ١٨٨٢ . نادى زعماء هذا التيار بالمبدأ الاصلاحي القائل انه يجب السعي وراء « الممكن » («possible») فقط . ومن هنا اسم « الامكانيين » . — ص ١٥

١٤ — **النداء الاول** عن موقف الاممية من الحرب الفرنسية البروسية الذي كتبه ماركس بتكليف من المجلس العام فور بداية الحرب ، وكذلك **النداء الثاني** الذي كتبه ماركس في ايلول (سبتمبر) ١٨٧٠ يعكسان موقف الطبقة العاملة من العسكرية والحرب ، ونضال ماركس وانجلس ضد حروب الفتح والاغتصاب ومن اجل تطبيق مبادئ الاممية البروليتارية . يعلل ماركس بصورة مقنعة موضوعات المذهب الماركسي البالغة الاهمية بصدد الاسباب الاجتماعية لحروب الفتح والاغتصاب التي تشن خدمة للمصالح الجشعة للطبقات السائدة ، ويبين ان حروب الفتح والاغتصاب تستهدف كذلك قمع الحركة الثورية للبروليتاريا ؛ ويؤكد بصورة خاصة على وحدة مصالح العمال الالمان والفرنسيين ويدعوهم الى النضال المشترك ضد سياسة الفتح والاغتصاب التي تتبعها الطبقات الحاكمة في البلدين . — ص ١٩

١٥ ـ **الاستفتاء** (plébiscite — التصويت العام) — اجراه نابليون الثالث في ايار (مايو) ١٨٧٠ بذريعة استيضاح موقف الجماهير الشعبية من الامبراطورية ، صيغت الاسئلة المطروحة على التصويت بحيث كان

يستحيل الاعراب عن عدم تحبيذ سياسة الامبراطورية الثانية دون الاعراب فى الوقت نفسه عن معارضة الاصلاحات الديموقراطية ايا كانت . فضحت فروع الاممية الاولى في فرنسا هذه الطريقة الديماغوجية ، التضليلية ، واقترحت على اعضائها الاستنكاف عن التصويت . عشية الاستفتاء ، اعتقل اعضاء اتحاد (فيديراسيون) باريس بتهمة التآمر من اجل اغتيال نابليون الثالث . استغلت الحكومة التهمة لاجل تنظيم حملة واسعة من الملاحقات والاعتقالات ضد اعضاء الاممية في مختلف مدن فرنسا . اثناء محاكمة اعضاء اتحاد باريس ، التي جرت من ٢٢ حزيران (يونيو) الى ٥ تموز (يوليو) ١٨٧٠ ، تكشف كلياً بطلان التهمة بالتآمر . ولكن حكم على عدد من اعضاء الاممية بالسجن لمجرد انتسابهم الى جمعية الشغيلة العالمية . استثارت ملاحقة الاممية في فرنسا الاحتجاجات الجماهيرية من جانب الطبقة العاملة . — ص ١٩

١٦ — في ١٩ تموز (يوليو) ١٨٧٠ بدأت الحرب الفرنسية البروسية . — ص ٢٠

١٧ — راجع الملاحظة رقم ٩ . — ص ٢٠

١٨ — **«Le Réveil»** («اليقظة») — جريدة فرنسية ، لسان حال الجمهوريين اليساريين . صدرت بتحرير ديليكلوز في باريس من تموز (يوليو) ١٨٦٨ الى كانون الثاني (يناير) ١٨٧١ . نشرت الجريدة وثائق الاممية ومواد عن الحركة العمالية . — ص ٢٠

١٩ — **«La Marseillaise»** («المرسيلياز») — جريدة يومية فرنسية ، لسان حال الجمهوريين اليساريين . صدرت في باريس من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٦٩ الى ايلول (سبتمبر) ١٨٧٠ . نشرت الجريدة مواد عن نشاط الاممية وعن الحركة العمالية . — ص ٢١

٢٠ — المقصود هنا **عصابة ١٠ من كانون الاول** (ديسمبر) — جمعية بونابرتية سرية ، مؤلفة على الاغلب من العناصر المتفسخة طبقياً ، والمغامرين السياسيين ، وممثلي الطغمة العسكرية ، والخ . . اسهم اعضاؤها في انتخاب لويس بونابرت رئيساً للجمهورية الفرنسية في ١٠ كانون الاول ١٨٤٨ (ومن هنا اسم الجمعية) . — ص ٢١

٢١ ـ **معركة سادوفا** جرت في ٣ تموز (يوليو) ١٨٦٦ في بلاد التشيك ، وكانت المعركة الفاصلة في الحرب النمساوية البروسية عام ١٨٦٦ التي انتهت بانتصار بروسيا على النمسا . — ص ٢٢

٢٢ ـ قبل آب (اغسطس) ١٨٠٦ ، كانت المانيا في قوام ما يسمى بالامبراطورية الرومانية المقدسة للامة الالمانية التي تأسست في القرن العاشر ، والتي كانت عبارة عن اتحاد بين الامارات الاقطاعية والمدن الحرة التي تعترف بسلطة الامبراطور العليا . ـ ص ٢٧

٢٣ ـ المقصود هنا **معاهدة صلح بال** المعقودة بصورة منفردة بين بروسيا ، الشريكة في حلف الدول الاوروبية الاول ضد فرنسا ، وبين الجمهورية الفرنسية في ٥ نيسان (ابريل) ١٧٩٥ . ـ ص ٢٨

٢٤ ـ **معاهدة تلسيت** ـ عقدت في ٧ و٨ و٩ تموز (يوليو) ١٨٠٧ بين فرنسا النابليونية والمشتركتين في الحلف الرابع ضد فرنسا ، روسيا وبروسيا ، اللتين منيتا بالهزيمة في الحرب . كانت شروط الصلح في منتهى القساوة بالنسبة لبروسيا ، اذ فقدت قسماً كبيراً من اراضيها . لم تتكبد روسيا اية خسائر في الاراضي ، ولكنها اضطرت الى الاعتراف بتوطد مواقع فرنسا في اوروبا والى الإنضمام الى حصار بريطانيا (ما يسمى بالحصار القاري) . ادى صلح تلسيت اللصوصي الذي فرضه نابليون الاول الى ظهور الاستياء الحاد بين سكان المانيا ، فمهد بذلك التربة لحركة التحرر التي قامت وانتشرت سنة ١٨١٣ ضد السيادة النابليونية . — ص ٢٩

٢٥ ـ يقصد ماركس انتصار الرجعية الاقطاعية في المانيا بعد انهيار السيادة النابليونية ؛ فقد بقي التجزؤ الاقطاعي في المانيا ، وتعزز النظام الاقطاعي الاستبدادي في الدويلات الالمانية ، وبقيت جميع امتيازات النبلاء ، واشتد استثمار الفلاحين شبه الاقطاعي . ـ ص ٣١

٢٦ ـ المقصود هنا **قصر التويلري** في باريس ، مقر نابليون الثالث . ـ ص ٣١

٢٧ ـ المقصود هنا انتفاضة عمال باريس البطولية من ٢٣ الى ٢٦ حزيران (يونيو) ١٨٤٨ . وقد قمعتها البرجوازية الفرنسية بقساوة خارقة . — ص ٣٢

٢٨ ـ يقصد ماركس حركة العمال الانجليز من اجل الاعتراف بالجمهورية الفرنسية المعلنة في ٤ ايلول (سبتمبر) ١٨٧٠ . ابتداء من ٥ ايلول ، جرت في لندن وغيرها من المدن الكبيرة اجتماعات حاشدة ومظاهرات طلب المشتركون فيها ، بقراراتهم وعرائضهم ، من الحكومة الانجليزية ، الاعتراف فوراً بالجمهورية الفرنسية . اشترك مجلس الاممية العام مباشرة في تنظيم حركة الاعتراف بالجمهورية في فرنسا . — ص ٣٢

٢٩ ـ يلمح ماركس الى اشتراك بريطانيا بنشاط في انشاء حلف من الدول الاقطاعية الاستبدادية التي شنت في عام ١٧٩٢ الحرب على فرنسا الثورية ، وكذلك الى واقع ان الطغمة الحاكمة الانجليزية كانت السباقة في اوروبا الى الاعتراف بالنظام البونابرتي الذي اقيم في فرنسا بنتيجة انقلاب لويس بونابرت في ٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ . — ص ٣٢

٣٠ ـ ابان الحرب الاهلية في اميركا (١٨٦١ـ١٨٦٥) بين الشمال الصناعي والجنوب الذي يسود فيه المزارعون مالكو العبيد ، اخذت الصحافة البرجوازية الانجليزية جانب الدفاع عن الجنوب اي عن نظام العبودية . — ص ٣٣

٣١ ـ «Journal Officiel de la République Française» (« الجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية ») ـ صدرت من ٢٠ آذار (مارس) الى ٢٤ ايار (مايو) ١٨٧١ ، وكانت لسان الحال الرسمي لكومونة باريس ؛ احتفظت باسم الجريدة الرسمية لحكومة الجمهورية الفرنسية التي صدرت في باريس منذ ٥ ايلول (سبتمبر) ١٨٧٠ (اثناء كومونة باريس ، صدرت بالاسم نفسه في فرساي جريدة حكومة تيير) . صدر العدد بتاريخ ٣٠ آذار باسم «Journal Officiel de la Commune de Paris» (« الجريدة الرسمية لكومونة باريس ») . نشرت الجريدة في ٢٥ نيسان (ابريل) ١٨٧١ رسالة سيمون غيّو . — ص ٣٦

٣٢ ـ في ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٨٧١ ، وقع بيسمارك وممثل حكومة الدفاع الوطني الفرنسية ، فافر ، «اتفاقية الهدنة واستسلام باريس» . عنى الاستسلام المخزي خيانة المصالح الوطنية لفرنسا. عند توقيع الاتفاقية ، وافق فافر على المطالب المذلة التي تقدم بها البروسيون : دفع غرامة قدرها ٢٠٠ مليون فرنك في غضون اسبوعين ، تسليم قسم كبير من حصون باريس ، تسليم مدفعية الميدان والذخائر الحربية لجيش باريس . ـ ص ٣٦

٣٣ ـ Capitulards (الاستسلاميون) ـ لقب سخر وازدراء اطلق على انصار استسلام باريس ابان الحصار في ١٨٧٠ـ١٨٧١ . فيما بعد ، دخل في اللغة الفرنسية للاشارة الى الاستسلاميين بوجه عام . ـ ص ٣٦

٣٤ ـ «L'Étendard» («الراية») ـ جريدة فرنسية بونابرتية الاتجاه . صدرت في باريس من سنة ١٨٦٦ الى سنة ١٨٦٨ . توقفت الجريدة عن الصدور لمناسبة اكتشاف عمليات غش واحتيال كانت مصدر تمويل الجريدة . ـ ص ٣٧

٣٥ ـ المقصود هنا «Société Générale du Crédit Mobilier» («الشركة العامة للتسليف على المفروشات») ـ وهي مصرف مساهم فرنسي كبير تاسس سنة ١٨٥٢ . كانت المضاربة بالاوراق المالية المصدر الرئيسي لايرادات المصرف . كان المصرف على صلة وثيقة بالاوساط الحكومية في عهد الامبراطورية الثانية . في سنة ١٨٦٧ افلست الشركة ؛ وفي سنة ١٨٧١ صفيت . ـ ص ٣٧

٣٦ ـ «L'Électeur libre» («الناخب الحر») ـ جريدة فرنسية ، لسان حال الجمهوريين اليمينيين . صدرت في باريس من سنة ١٨٦٨ الى سنة ١٨٧٢ . في ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ كانت على صلة بوزارة المالية في حكومة الدفاع الوطني . ـ ص ٣٧

٣٧ ـ في ١٤ و١٥ شباط (فبراير) ١٨٣١ ، اجتاح الجمع المحتشد في باريس كنيسة سان-جيرمين-لوسيروا وقصر المطران كيلين ، وذلك احتجاجاً على مظاهرة الليجيتيميين (الشرعيين) اثناء الجناز المقام على ذكرى الدوق بيري . وقد شهد تيير تدمير الكنيسة وقصر

المطران ، ولكنه اقنع رجال الحرس الوطني بعدم التعرض لاعمال الجمع .

في سنة ١٨٣٢ ، امر تيير ، وكان آنذاك وزيراً للداخلية ، باعتقال والدة المدعي الليجيتيمي بالعرش الفرنسي الكونت شامبور ، الدوقة بيري ، فاعتقلت وتعرضت لفحص طبي مذل بغية كشف واعلان زواجها السري والاساءة الى سمعتها السياسية . — ص ٣٨

٣٨ — يقصد ماركس الدور الحقير الذي اضطلع به تيير (وكان آنذاك وزير الداخلية) في سحق انتفاضة الجماهير الشعبية في باريس ضد نظام ملكية تموز (يوليو) في ١٣ و١٤ نيسان (ابريل) ١٨٣٤ . قمع هذه الانتفاضة رافقته اعمال وحشية اقترفتها الطغمة العسكرية التي قتلت ، مثلاً ، جميع السكان في احد البيوت في شارع ترانسنونن .

قوانين ايلول — قوانين رجعية ضد الصحافة اصدرتها الحكومة الفرنسية في ايلول (سبتمبر) ١٨٣٥ . فرضت هذه القوانين عقوبة السجن والغرامات النقدية الضخمة على المنشورات ضد الملكية وضد النظام السياسي القائم . — ص ٣٨

٣٩ — في كانون الثاني (يناير) ١٨٤١ ، قدم تيير في مجلس النواب مشروعاً بانشاء استحكامات حربية حول باريس . اعتبرت الاوساط الثورية الديموقراطية هذا المشروع تدبيراً غايته قمع الحركات الشعبية . كان مشروع تيير ينص على بناء حصون ذات استحكامات قوية جداً في جوار احياء العمال . — ص ٣٩

٤٠ — في كانون الثاني (يناير) ١٨٤٨ ، عمدت قوات نابولي التابعة للملك فرديناند الثاني (الذي لقب فيما بعد بالملك القنبلة لقصفه مدينة ميسينا قصفاً ضارياً في خريف السنة ذاتها) الى قصف مدينة باليرمو بالمدافع سعياً لقمع الانتفاضة الشعبية التي كانت بمثابة اشارة للثورة البرجوازية في الدول الايطالية في سنتي ١٨٤٨ و١٨٤٩ . — ص ٣٩

٤١ — في نيسان (ابريل) ١٨٤٩ ، نظمت فرنسا ، مع النمسا ونابولي ،

التدخل ضد جمهورية روما بغية سحقها وبعث سلطة البابا الدنيوية . قصفت القوات المسلحة الفرنسية روما قصفاً ضارياً . وقد سقطت جمهورية روما رغم المقاومة البطولية ، واحتلت القوات الفرنسية روما . — ص ٣٩

٤٢ — **حزب النظام** — حزب للبرجوازية المحافظة الكبيرة تأسس عام ١٨٤٨ . كان عبارة عن ائتلاف بين كتلتين ملكيتين فرنسيتين : كتلة الليجيتيميين (الشرعيين) وكتلة الاورليانيين (راجع الملاحظة رقم ٨) . من سنة ١٨٤٩ الى انقلاب الثاني من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ ضمناً ، شغل الوضع القيادي في الجمعية التشريعية في عهد الجمهورية الثانية . — ص ٤٠

٤٣ — في ١٥ تموز (يوليو) ١٨٤٠ ، وقعت بريطانيا وروسيا وبروسيا والنمسا وتركيا ، بدون مشاركة فرنسا ، في لندن على اتفاقية بشأن تقديم العون للسلطان التركي ضد حاكم مصر محمد علي الذي كانت تدعمه فرنسا . نتيجة لعقد الاتفاقية نشأ خطر نشوب حرب بين فرنسا وحلف الدول الاوروبية ، ولكن الملك لويس فيليب لم يقدم على الحرب ورفض مساندة محمد علي . — ص ٤١

٤٤ — رغبة في تعزيز جيش فرساي لأجل قمع باريس الثورية ، طلب تيير من بيسمارك ان يسمح له بزيادة مجموعة قواته المسلحة من اسرى الحرب الفرنسيين ولا سيما من رجال الجيشين اللذين استسلما في سيدان وميتز . — ص ٤١

٤٥ — **ايوب** — شخصية من التوراة . رمز الفقير الذي يكابد عذابات كثيرة ويكافئه الرب لقاء استكانته ووداعته . — ص ٤١

٤٦ — **«Chambre introuvable»** («المجلس الذي لا نظير له») — مجلس نواب في فرنسا في ١٨١٥ و ١٨١٦ (السنتين الاوليين من عهد عودة الملكية) كان يتألف من غلاة الرجعيين . — ص ٤٣ .

٤٧ — **بورسونياك** — الشخصية الرئيسية في مسرحية موليير الهزلية «السيد دي بورسونياك» . رمز النبيل الاقليمي البليد والجاهل . — ص ٤٤

٤٨ — **«مجلس الملاكين العقاريين»** ، **«جمعية القرويين»** — لقب ازدراء

وسخرية لقبت به الجمعية الوطنية لعـــام ١٨٧١ التي كانت تعقد جلساتها في مدينة بوردو والتي كانت تتألف باغلبيتها من الملكيين الرجعيين ، اي من الملاكين العقاريين في الاقاليـــم ، والموظفين ، واصحاب الريع والتجار ، المنتخبين في الدوائر الانتخابية الريفية . وكانت الجمعية تضم ٦٣٠ نائباً بينهم زهاء ٤٣٠ ملكياً . – ص ٤٤

٤٩ – **شايلوك** – شخصية من مسرحية شكسبير «تاجر البندقية» الهزلية . مراب قاس ؛ طالب ، حسب شروط الدين ، بقطع ليبرة من لحم مدينه العاجز عن تسديد الدين . – ص ٤٤

٥٠ – في ١٠ آذار (مارس) ١٨٧١ ، اقرت الجمعية الوطنية قانونـــاً «بتاجيل تسديد الديون النقدية» المعقودة بين ١٣ آب (اغسطس) و١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧٠ . ولكن القانون لم ينص على تاجيل تسديد الديون المعقودة بعد ١٢ تشرين الثاني . وهكذا سدد القانون ضربة قاسية الى العمال وفئات السكان الفقيرة ، وادى ايضاً الى افلاس الكثيرين من صغار الصناعيين والتجار . – ص ٤٤

٥١ – **Décembriseur** المشترك في الانقلاب البونابرتي الذي جـــرى في ٢ كانون الاول (ديسمبـــر) ١٨٥١ ، ونصيـــر التصرف بروح هذا الانقلاب . – ص ٤٥

٥٢ – افادت الصحف انـــه كان من المقرر ان ينال تيير وسائر اعضاء حكومته اكثر من ٣٠٠ مليون فرنك بصورة «عمولة» من القرض الداخلي الذي قررت حكومة تيير عقده . وقد اقر قانون القرض في ٢٠ حزيران (يونيو) ١٨٧١ بعد قمع كومونة باريس . – ص ٤٥

٥٣ – «**كايينا**» – مدينة في غويانا الفرنسية (اميركا الجنوبيـــة) . منفى للمحكومين السياسيين ومكان لتنفيذهم عقوبة الاشغال الشاقـــة . – ص ٤٧

٥٤ – **«Le National»** («الجريدة الوطنيـــة») – جريدة يومية فرنسية . صدرت في باريس من ١٨٣٠ الى ١٨٥١ ، لسان حال الجمهوريين البرجوازيين المعتدلين . – ص ٤٩

٥٥ – في ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٧٠ ، علم عمال باريس والقســـم

الثوري من الحرس الوطني بقرار حكومة الدفاع الوطني الشروع بمفاوضات مع البروسيين فقاموا بانتفاضة واستولوا على مبنى البلدية وانشأوا هيئة للسلطة الثورية هي لجنة السلامة العامة برئاسة بلانكي . تحت ضغط العمال ، اضطرت حكومة الدفاع الوطني الى الوعد بالاستقالة وتعيين الانتخابات الى الكومونة في اول تشرين الثاني (نوفمبر) . ولكن الحكومة استغلت النقص في تنظيم القوى الثورية في باريس والخلافات بين البلانكيين قادة الانتفاضة وبين الديموقراطيين اليعاقبة البرجوازيين الصغار ، فاستولت على مبنى البلدية بمساعدة كتائب الحرس الوطني التي ظلت الى جانبها وبعثت سلطتها . — ص ٤٩

٥٦ — **«البريتانيون»** — حرس وطني متنقل (سيار) استخدمه تروشو كقوة درك لاجل قمع الحركة الثورية في باريس .

«الكورسيكيون» كانوا يشكلون في ظل الامبراطورية الثانية قسماً كبيراً من فيلق الدرك . — ص ٤٩

٥٧ — بمبادرة من البلانكيين ، قامت بروليتاريا باريس والحرس الوطني ، **في ٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٨٧١** ، بمظاهرة ثورية ، طالبوا فيها باسقاط الحكومة وتأليف الكومونة . بامر من حكومة الدفاع الوطني ، اطلق رجال الحرس الوطني السيار البريتانيون ، الذين كانوا يحمون مبنى البلدية ، النار على المتظاهرين . بعد قمع الحركة الثورية بالارهاب ، شرعت الحكومة تهيئ لاستسلام باريس . — ص ٥٠

٥٨ — **Sommations** (الانذارات ، المطالب المسبقة بالتفرق) . ينص القانون في عدد من الدول البرجوازية على توجيه السلطات الى الجمع ثلاثة انذارات بالتفرق ؛ وبعد ذلك يمكن اللجوء الى القوة المسلحة .

القانون بصدد المخالفات (Riot act) وضع موضع التنفيذ في بريطانيا في عام ١٧١٥ . وكان يمنع جميع «تجمعات الشغب» من اكثر من ١٢ شخصاً . في حال مخالفة القانون ، كان ممثلو السلطة ملزمين باعلان الانذار الخاص وباستعمال القوة اذا لم يتفرق المجتمعون في خلال ساعة . — ص ٥١

٥٩ — سقطت اسوار اريحا ، المدينة القديمة في فلسطين ، كما جاء في

التوراة ، على اصوات ابواق اليهود المقدسة . مجازاً – القلعة التي تسقط بسرعة عاصفة . – ص ٥١

٦٠ – اثناء حوادث ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) (راجع الملاحظة رقم ٥٥) ، حال فلورانس دون اطلاق النار على اعضاء حكومة الدفاع الوطني الذي دعا اليه احد المشتركين في الانتفاضة . – ص ٥٣

٦١ – المرسوم الذي اشار اليه ماركس بصدد الرهائن اقرته الكومونة في ٥ نيسان (ابريل) ١٨٧١ (يؤرخ ماركس المرسوم بتاريخ نشره في الصحافة البريطانية) . بموجب هذا المرسوم ، كان جميع الافراد المتهمين بالاتصال مع فرساي يعتبرون رهائن في حال ثبوت التهمة . وبهذا التدبير ارادت كومونة باريس ان تحول دون اعدام الكومونيين رمياً بالرصاص من قبل الفرساليين . – ص ٥٣

٦٢ – «The Times» («الازمنة») – جريدة يومية بريطانية كبيرة ذات اتجاه محافظ . تصدر في لندن منذ سنة ١٧٨٥ . – ص ٥٤

٦٣ – **التعيين المراتبي** – نظام لتعيين الموظفين يتميز بتبعية من هم ادنى مرتبة في سلم المراتب تبعية تامة حيال من هم اعلى مرتبة . – ص ٦١

٦٤ – **الجيرونديون** (نسبة الى محافظة الجيروند) – حزب للبرجوازية الكبيرة في عهد الثورة البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر . وقف ضد حكومة اليعاقبة وضد الجماهير الثورية التي تدعمها ، وذلك تحت راية الدفاع عن حقوق المحافظات في الاستقلال الذاتي وفي الاتحاد الفيديرالي . – ص ٦١

٦٥ – «Kladderadatsch» («كلاديراداتش») – مجلة اسبوعية هجائية مصورة ، صدرت في برلين منذ سنة ١٨٤٨ .

«Punch, or the London Charivari» («بانتش او شاريفاري لندن») – (الشاريفاري ضجة شديدة بواسطة القدور والصحون والخ . ، مصحوبة بصيحات استقباح يحدثها بعض الناس امام بيت شخص اثار استياءهم) – مجلة فكاهية اسبوعية بريطانية ذات اتجاه برجوازي ليبيرالي . تصدر في لندن منذ سنة ١٨٤١ . – ص ٦٢

٦٦ – المقصود هنا مرسوم كومونة باريس بتاريخ ١٦ نيسان (ابريل)

١٨٧١ بتقسيط الديون خلال ثلاث سنوات وبالغاء الفوائد المئوية عنها . — ص ٦٥

٦٧ — يقصد ماركس رفض الجمعية التأسيسية في ٢٢ آب (اغسطس) ١٨٤٨ لمشروع قانون «الاتفاقات الحبية» الذي كان ينص على تأجيل دفع الديون للدائنين . من جراء هذا الرفض اصيب قسم كبير من البرجوازية الصغيرة بالخراب التام ووقع في قبضة الدائنين من البرجوازية الكبيرة . — ص ٦٥

٦٨ — Frères ignorantins («الاخوة الجهلة») — لقب جمعية رهبانية تأسست في مدينة ريمس عام ١٦٨٠ وكان اعضاؤها يلتزمون بتعليم اولاد الفقراء . وكان التلامذة يتلقون اساساً في مدارس الرهبانية التعليم الديني ومعارف قليلة جداً في الميادين الاخرى . — ص ٦٥

٦٩ — **اتحاد المحافظات الجمهوري** — منظمة سياسية تتألف من ممثلي فئات البرجوازية الصغيرة ، المنحدرين من مختلف المقاطعات الفرنسية والمقيمين في باريس . دعت الى النضال ضد حكومة فرساي والجمعية الوطنية الملكية والى دعم كومونة باريس في جميع المحافظات . — ص ٦٦

٧٠ — يقصد ماركس قانون ٢٧ نيسان (ابريل) ١٨٢٥ حول دفع تعويضات للمهاجرين السابقين عن عقاراتهم المصادرة في عهد الثورة البرجوازية الفرنسية . — ص ٦٦

٧١ — بعد التحريات في دير بيكبوس ، اكتشفت حالات من حبس الراهبات في الصوامع سنوات طويلة ، كما وجدت ادوات للتعذيب . وفي كنيسة سان لوران وجدت مقبرة سرية كانت دليلاً على الجرائم المقترفة . نشرت الكومونة هذه الوقائع في جريدة «Mot d'Ordre» («كلمة السر») في ٥ ايار (مايو) ١٨٧١ ، وكذلك في كراس «Les Crimes des congrégations religieuses» («جرائم الرهبانيات») . — ص ٧٠

٧٢ — كان اعداد السجاير لاجل الاستهلاك الشخصي الشغل الرئيسي لاسرى الحرب الفرنسيين في ولهلمسهوي (راجع الملاحظة رقم ١١) . — ص ٧٠

٧٣ ـ **المتغيبون** (Absenteistes — من كلمة «absent» ـ « غائب ») ـ كبار ملاكي الاراضي ممن كانوا لا يعيشون عادة في عقاراتهم وكانوا يديرونها بواسطة وكلاء زراعيين او يؤجرونها من مضاربين وسطاء يؤجرونها بدورهم بشروط جائرة من صغار المستأجرين . — ص ٧١

٧٤ ـ في ٩ تموز (يوليو) ١٧٨٩ اعلنت الجمعية الوطنية في فرنسا نفسها جمعية تأسيسية ، وحققت اولى التحويلات المعادية للحكم المطلق وللاقطاعية . ـ ص ٧٢

٧٥ ـ **Francs-fileurs** (حرفياً «الهاربون الاحرار») ـ لقب ساخر اطلق على البرجوازيين الباريسيين ممن هربوا من المدينة ابان حصارها . وقد اكتسب هذا اللقب طابعه السخري من تعبير **francs-tireurs** («الرماة الاحرار») المشابه من حيث اللفظ ، الذي اطلق على الانصار الفرنسيين الذين اشتركوا بنشاط في النضال ضد البروسيين . ـ ص ٧٣

٧٦ ـ **كوبلنتز** ـ مدينة في المانيا كانت في عهد الثورة البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر مركزاً للمهاجرين النبلاء الملكيين ولاعداد التدخل المسلح ضد فرنسا الثورية . كانت كوبلنتز مقر حكومة المهاجرين برئاسة الرجعي الضاري دي كالون ، الوزير السابق للملك لويس السادس عشر . ـ ص ٧٣

٧٧ ـ **«الشوان»** ـ اطلق الكومونيون هذا الاسم على فصيلة ملكية النزعة من جيش فرساي جرى تجنيد رجالها في مقاطعة بريتانيا ، تشبيهاً بمن اشتركوا في الفتنة المعادية للثورة في فرنسا الشمالية الغربية في عهد الثورة البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر . ـ ص ٧٣

٧٨ ـ **الزواف** ـ صنف من المشاة المسلحين بالاسلحة الخفيفة في الجيش الفرنسي (كلمة الزواف «zouaves» مشتقة من اسم احدى القبائل الجزائرية) . ـ ص ٧٤

٧٩ ـ بتأثير الثورة البروليتارية في باريس ، التي ادت الى نشوء كومونة باريس ، قامت حركات ثورية في ليون ومرسيليا غايتها اعلان الكومونة . ولكن القوات المسلحة الحكومية قمعت نضالات الجماهير الشعبية بقساوة . ـ ص ٧٥

٨٠ ـ بموجب قانون اصول المحاكمات العسكرية ، كان ينبغي البت في الدعوى التي قدمها دوفور الى الجمعية الوطنية ، وتنفيذ الحكم الصادر فيها خلال ٤٨ ساعة . ـ ص ٧٦

٨١ ـ المقصود هنا المعاهدة التجارية بين انجلترا وفرنسا ، الموقعة في ٢٣ كانون الثاني (يناير) ١٨٦٠ : بموجب هذه المعاهدة تخلت فرنسا عن سياسة الحماية الجمركية واستعاضت عنها بفرض الرسوم الجمركية . ادى عقد هذه المعاهدة الى اشتداد المنافسة في السوق الداخلية الفرنسية بسبب تدفق البضائع من انجلترا ، الامر الذي اثار استياء الصناعيين الفرنسيين . ـ ص ٧٨

٨٢ ـ المقصود هنا جو الارهاب واعمال القمع الدامية في روما القديمة في مختلف اطوار ازمة جمهورية روما الاستعبادية في القرن الاول ق . م . **ديكتاتورية سولا** (٨٢-٧٩ ق . م) . **الثالوثان الرومانيان الاول والثاني** (٦٠-٥٣ ، ٤٣-٣٦ ق . م) ـ ديكتاتورية القادة العسكريين الرومانيين ، في الحالة الاولى ، بومبايوس وقيصر وكراسوس ؛ في الحالة الثانية ، اوكتافيوس وانطونيوس وليبيد . ـ ص ٨٠

٨٣ ـ «Journal de Paris» («جريدة باريس») ـ جريدة اسبوعية ، صدرت في باريس ابتداء من عام ١٨٦٧ . كانت ذات نزعة ملكية اورليانية . ـ ص ٨١

٨٤ ـ **ميغيرة** ـ في الاساطير الاغريقية القديمة ، احدى الالاهات المنتقمات الثلاث .

هيكاتة ـ الاهة يوم الحساب والتكفير . ـ ص ٨٢

٨٥ ـ ابان الحرب بين انجلترا والولايات المتحدة الاميركية ، استولت القوات الانجليزية على واشنطن في آب (اغسطس) ١٨١٤ واحرقت الكابيتول (مبنى الكونغرس) والبيت الابيض وغيرهما من المباني العامة في العاصمة .

وابان حرب انجلترا وفرنسا ضد الصين ، نهبت القوات الانجلو-فرنسية في تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٦٠ ثم احرقت بلدة القصر الصيفي في ضواحي بيكين ، وكانت عبارة عن مجموعة فائقة الغنى في كنز المعمار الصيني والفن الصيني . ـ ص ٨٢

٨٦ – **البريتوريون** – في روما القديمة كانوا يسمون بهذا الاسم الحرس الخاص المميز للقائد العسكري او للامبراطور . اشترك البريتوريون على الدوام في الفتن الداخلية ، وغالباً ما نصبوا صنائعهم على العرش . فيما بعد ، صارت كلمة «البريتوريون» رمزاً لماجورية الطغمة العسكرية وتعسفها ومآثمها . – ص ٨٤

٨٧ – يسمي ماركس مجلس النواب البروسي «chambre introuvable» («المجلس الذي لا نظير له») تشبيهاً بالمجلس الفرنسي (راجع الملاحظة رقم ٤٦) . كانت الجمعية التي انتخبت في كانون الثاني (يناير) وشباط (فبراير) ١٨٤٩ تتألف من «مجلس السادة» الاريستقراطي المميز ومن المجلس الثاني الذي لا يحق ان يشترك في الانتخابات غير المباشرة اليه الا من يسمون «بالبروسيين المستقلين» . انتخب بيسمارك الى المجلس الثاني ، وكان فيه احد زعماء الكتلة اليمينية المتطرفة من اليونكر (الاقطاعيين البروسيين) . – ص ٨٥

٨٨ – «The Daily News» («الاخبار اليومية») – صحيفة انجليزية ليبيرالية ، لسان حال البرجوازية الصناعية . صدرت بهذا الاسم في لندن من عام ١٨٤٦ الى عام ١٩٣٠ . – ص ٨٩

٨٩ – «Le Temps» («الزمان») – صحيفة يومية فرنسية ذات نزعة محافظة ، لسان حال البرجوازية الكبيرة . صدرت في باريس من سنة ١٨٦١ الى سنة ١٩٤٣ . – ص ٩٠

٩٠ – «The Evening Standard» («راية المساء») – الطبعة المسائية من الصحيفة المحافظة الانجليزية «Standard» . صدرت في لندن من سنة ١٨٥٧ الى سنة ١٩٠٥ . فيما بعد ، صحيفة مستقلة . – ص ٩٠

٩١ – هذه الرسالة كتبها ماركس وانجلس . – ص ٩٠

٩٢ – «The Spectator» («المتفرج») – صحيفة اسبوعية انجليزية ليبيرالية الاتجاه . صدرت في لندن منذ سنة ١٨٢٨ . – ص ٩٢

دليل الاسماء

اسبارتيرو (Espartero) **بالدوميرو** (١٧٩٣-١٨٧٩) – جنرال ورجل دولة اسباني . وصي العرش (١٨٤١-١٨٤٣) . رئيس الحكومة (١٨٥٤-١٨٥٦) . زعيم حزب التقدميين . – ص ٣٩ .

افرو (Affre) **ديني اوغست** (١٧٩٣-١٨٤٨) – كاهن فرنسي . رئيس اساقفة باريس (١٨٤٠-١٨٤٨) . قتله جنود قوات فرساي اثناء انتفاضة حزيران (يونيو) ١٨٤٨ . – ص ٨٤

الكسندرا (١٨٤٤-١٩٢٥) – ابنة الملك الدانماركي كريستيان التاسع ؛ منذ سنة ١٨٦٣ زوجة امير ويلس . منذ سنة ١٩٠١ ، زوجة ملك بريطانيا ادوارد السابع . – ص ٥٠ .

الكسندر الثاني (١٨١٨-١٨٨١) – امبراطور روسي (١٨٥٥-١٨٨١) . – ص ٣٠ .

آل اورليان – سلالة ملكية في فرنسا (١٨٣٠-١٨٤٨) . – ص ٦٩ ، ٧٥ .

اوريل دي بالادين (Aurelle de Paladines) **لويس جان باتيست دي** (١٨٠٤-١٨٧٧) – جنرال فرنسي . اكليريكي . في آذار (مارس) ١٨٧١ ، قائد الحرس الوطني في باريس . نائب في الجمعية الوطنية سنة ١٨٧١ . – ص ٤٥ ، ٤٨ .

ايد (Eudes) **اميل ديزيره فرنسوا** (١٨٤٣-١٨٨٨) – ثوري فرنسي . من انصار بلانكي . جنرال في الحرس الوطني . عضو كومونة باريس . بعد قمع الكومونة ، هاجر الى سويسرا ثم الى انجلترا . بعد عودته

الى فرنسا (بموجب عفو ١٨٨٠) ، احد منظمي لجنة البلانكيين الثورية المركزية . — ص ١١ .

باليكاو — راجع **كوزان-مونتوبان** .

برجيره (Bergeret) **جول فكتور** (١٨٣٩—١٩٠٥) — من رجالات كومونة باريس . جنرال في الحرس الوطني . ثم مهاجر . — ص ٥١ .

برودون (Proudhon) **بيير جوزف** (١٨٠٩—١٨٦٥) — كاتب اجتماعي وسياسي فرنسي . اقتصادى وعالم اجتماع . ايديولوجي البرجوازية الصغيرة . احد مؤسسي الفوضوية . — ص ١٣ ، ١٤ .

برونيل (Brunel) **انطوان ماغلوار** (من مواليد عام ١٨٣٠) — ضابط فرنسي . بلانكي . عضو اللجنة المركزية للحرس الوطني وكومونة باريس . في ايار (مايو) ١٨٧١ ، اصابه الفرساليون بجراح خطيرة . — ص ٨٩ .

بلانشه (Blanchet) **ستانيسلا** (كنيته الحقيقية **بوريل**) (من مواليد سنة ١٨٣٣) — راهب فرنسي . عميل للبوليس . تسلل الى كومونة باريس وصار عضواً فيها . ثم فضحه واعتقاله . — ص ٧٠ .

بلانكي (Blanqui) **لويس اوغست** (١٨٠٥—١٨٨١) — ثوري فرنسي . شيوعي طوبوي . منظم جملة من الجمعيات السرية والمؤامرات . اشترك بنشاط في ثورة ١٨٣٠ وثورة ١٨٤٨ . قائد الحركة البروليتارية في فرنسا . حكم عليه غير مرة بالسجن . — ص ١٢ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٨٤ .

بويّه-كيرتيه (Pouyer-Quertier) **اوغوستان توما** (١٨٢٠—١٨٩١) — صناعي وسياسي فرنسي كبير . وزير المالية (١٨٧١—١٨٧٢) . — ص ٤٥ ، ٧٧ .

بيرّي (Berry) **ماريا كارولينا فرديناندا لويزا** ، دوقة (١٧٩٨ — ١٨٨٠) — والدة الكونت شامبور المدعي الليجيتيمي (الشرعي) في العرش الفرنسي . في سنة ١٨٣٢ حاولت استثارة انتفاضة في فانده بغية اسقاط الملك لويس فيليب . — ص ٣٨ .

بيسمارك (Bismarck) **اوتو ، فون شونغاوزن** ، امير (١٨١٥ — ١٨٩٨) — رجل دولة وديبلوماسي في بروسيا والمانيا . ممثل طبقة اليونكر

(الاقطاعيين البروسيين) ، الوزير-الرئيس في بروسيا (١٨٦٢-١٨٧١) . مستشار الامبراطورية الالمانية (١٨٧١-١٨٩٠) . - ص ٤ ، ٨ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٦٢ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩١ .

بيك (Pic) **جول** - صحفي فرنسي . بونابرتي . الناشر المسؤول لجريدة "Étendard" .- ص ٣٧ .

بيكار (Picard) **ارنست** (١٨٢١ - ١٨٧٧) - محام وسياسي فرنسي . جمهوري برجوازي معتدل . وزير المالية في حكومة الدفاع الوطني (١٨٧٠-١٨٧١) . وزير الداخلية في حكومة تيير (١٨٧١) . احد جلادي كومونة باريس .- ص ٣٧ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٨٧ .

بيكار (Picard) **اوجين ارتور** (من مواليد سنة ١٨٢٥) - سياسي فرنسي . رجل بورصة . جمهوري برجوازي معتدل .- ص ٣٧ .

بيسله (Beslay) **شارل** (١٧٩٥ - ١٨٧٨) - سياسي ورب عمل فرنسي . عضو الاممية الاولى . برودوني . عضو لجنة المالية في كومونة باريس . - ص ٣٢ .

بين (Pène) **هنري دي** (١٨٣٠ - ١٨٨٨) - صحفي فرنسي . ملكي . احد منظمي الانتفاضة المعادية للثورة في باريس في ٢٢ آذار (مارس) ١٨٧١ .- ص ٥١ .

بييتري (Pietri) **جوزف ماري** (١٨٢٠-١٩٠٢) - سياسي فرنسي . بونابرتي . مدير البوليس في باريس (١٨٦٦-١٨٧٠) . - ص ٢١ .

تاقيطس (بوبليوس كورنيليوس تاقيطس) (حوالي ٥٥ - حوالي ١٢٠) - مؤرخ روماني كبير جداً . له «الحوليات» ("Annales") و«التواريخ» و«اخلاق الجرمانيين» . - ص ٨١ .

تاميزيه (Tamisier) **فرنسوا لوران الفونس** (١٨٠٩-١٨٨٠) - جنرال وسياسي فرنسي . جمهوري . آمر الحرس الوطني في باريس (ايلول - تشرين الثاني ١٨٧٠) . نائب في الجمعية الوطنية (١٨٧١) . - ص ٤٩ .

تايفر (Taillefer) - اشترك في صفقات تمت بصلة الى اصدار الجريدة البونابرتية "Étendard" . - ص ٣٧ .

تروشو (Trochu) **لويس جـــول** (١٨١٥-١٨٩٦) - جنرال وسياسي فرنسي . اورلياني . رئيس حكومـــة الدفاع الوطني . القائد الاعلى للقوات المسلحة في باريس (ايلول ١٨٧٠ - كانون الثاني ١٨٧١) . بغدر وخيانة خرب الدفاع عن المدينة . - ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٨٣ .

تولين (Tolain) **هنري لويس** (١٨٢٨-١٨٩٧) - عامل فرنسي في الحفر والرسم . برودوني يميني . احد قادة فرع الاممية في باريس . اثناء كومونة باريس انتقـــل الى جانب الفرساليين فطرد من الاممية . - ص ٥٤ .

توما (Thomas) **كليمـــان** (١٨٠٩-١٨٧١) - سياسي فرنسي . جنرال . جمهوري برجوازي معتدل . اشترك في قمع انتفاضة حزيران (يونيو) ١٨٤٨ في باريس . آمر الحرس الوطني في باريس (تشرين الثاني ١٨٧٠ - شباط ١٨٧١) ؛ بغدر وخيانة خرب الدفاع عن المدينة . في ١٨ آذار (مارس) ١٨٧١ اعدمه رميـــاً بالرصاص الجنـــود المنتفضون . - ص ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٧٥ ، ٧٩ .

تيمورلنك (١٣٣٦-١٤٠٥) - قائد عسكري وفاتح من آسيـــا الوسطى . مؤسس دولة مترامية الاطراف في الشرق . - ص ٥٣ .

تيير (Thiers) **ادولف** (١٧٩٧-١٨٧٧) - مؤرخ ورجل دولة فرنسي . اورلياني . رئيس السلطـــة التنفيذيـــة (رئيس مجلس الوزراء) (١٨٧١) . رئيس الجمهورية (١٨٧١-١٨٧٣) . جلاد كومونـــة باريس . - ص ٩ ، ١٢ ، ٢٠ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨-٤٨ ، ٥٠-٥٤ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٦-٧٠ ، ٧٢-٨٠ ، ٨٢-٨٤ ، ٨٧ .

جاكمه (Jacquemet) - كاهن فرنسي . في سنة ١٨٤٨ النائب الاسقفي العام لابرشية باريس . - ص ٨٥ .

جوبير (Jaubert) **ايبوليت فرنســـوا** ، الكونت (١٧٩٨-١٨٧٤) - سياسي فرنسي . ملكي . وزير الاشغال العامة (١٨٤٠) ، نائب في الجمعية الوطنية سنة ١٨٧١ . - ص ٨٧ .

داربوا (Darboy) **جورج** (١٨١٣-١٨٧١) - لاهوتي فرنسي . منذ سنة ١٨٦٣ اسقف باريس . في ايار (مايو) ١٨٧١ ، اعدمته الكومونة رمياً بالرصاص بوصفه رهينة . - ص ١٢ ، ٨٤ .

دوفال (Duval) **اميل فكتور** (١٨٤١–١٨٧١) – قائد في الحركة العمالية الفرنسية . عضو في الاممية الاولى . عضو كومونة باريس . جنرال في الحرس الوطني التابع للكومونة . في ٤ نيسان (ابريل) ١٨٧١ أسره الفرسائيون واعدموه رمياً بالرصاص . – ص ٥٢ .

دوفور (Dufaure) **جول ارمان ستانيسلا** (١٧٩٨–١٨٨١) – محام ورجل دولة فرنسي . اورلياني . احد جلادي كومونة باريس . رئيس مجلس الوزراء (١٨٧٦ ، ١٨٧٧ – ١٨٧٩) . – ص ٧٤ ، ٧٦ .

دومبروفسكي (Dombrowski) **ياروسلاف** (١٨٣٦–١٨٧١) – ديموقراطي ثوري بولوني . اشترك في حركة التحرر الوطني في بولونيا في الستينيات من القرن التاسع عشر . جنرال في كومونة باريس ، منذ اوائل ايار (مايو) ١٨٧١ ، القائد الاعلى لجميع قواتها المسلحة . استشهد على المتاريس . – ص ٦٨ .

دويه (Douay) **فليكس** (١٨١٦–١٨٧٩) – جنرال فرنسي . أسر في سيدان ، احد جلادي كومونة باريس . – ص ٧٩ .

ديماره (Desmarest) – ضابط في الدرك الفرنسي . قتل فلورانس . – ص ٥٣ .

رايتلينجر (Reitlinger) – صديق فافر ، وامينه الشخصي . – ص ٩١ .

سوزان (Susane) **لويس** (١٨١٠–١٨٧٦) – جنرال فرنسي . شغل منصب رئيس مصلحة المدفعية في وزارة الحربية . مؤلف عدد من البحوث في تاريخ الجيش الفرنسي . – ص ٣٦ .

سولا (**لوسيوس كورنيليوس سولا**) (١٣٨–٧٨ ق . م .) – قائد عسكري ورجل دولة روماني . قنصل (٨٨ ق . م .) ، ديكتاتور (٨٢–٧٩ ق . م .) . – ص ٤٢ ، ٨٠ .

سيسه (Saisset) **جان** (١٨١٠–١٨٧٩) – اميرال وسياسي فرنسي . ملكي . آمر الحرس الوطني في باريس (٢٠–٢٥ آذار ١٨٧١) . حاول توحيد قوى الرجعية لاجل قمع الثورة البروليتارية في ١٨ آذار (مارس) . – ص ٥٢ .

سيمون (Simon) **جول** (١٨١٤-١٨٩٦) - رجل دولة فرنسي . فيلسوف مثالي . وزير التعليم العام (١٨٧٠ - ١٨٧٣) . احد ملهمي النضال ضد كومونة باريس . - ص ٤٥ .

شانغارنييه (Changarnier) **نيقولا أنّ تيودول** (١٧٩٣-١٨٧٧) - جنرال فرنسي . سياسي برجوازي . ملكي . بعد حزيران (يونيو) ١٨٤٨ آمر حامية باريس والحرس الوطني في باريس . اشترك في تفريق مظاهرة ١٣ حزيران ١٨٤٩ في باريس . - ص ٥١ .

غاليفه (Galliffet) **غاستون الكسندر اوغست** ، مركيز **دي** (١٨٣٠-١٩٠٩) - جنرال فرنسي . احد جلادي كومونة باريس . - ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٨٨ .

غامبيتا (Gambetta) **ليون** (١٨٣٨-١٨٨٢) - رجل دولة فرنسي . جمهوري برجوازي . عضو حكومة الدفاع الوطني (١٨٧٠-١٨٧١) . - ص ٣٥ .

غانيسكو (Ganesco) **غريغوري** (زهاء ١٨٣٠ - ١٨٧٧) - صحفي فرنسي . اصله روماني . في زمن الامبراطورية الثانية بونابرتي ، ثم من انصار حكومة تيير . - ص ٦٨ .

غليوم الاول (١٧٩٧-١٨٨٨) - ملك بروسيا (١٨٦١-١٨٨٨) ، امبراطور المانيا (١٨٧١-١٨٨٨) . - ص ٢٦ ، ٧٨ .

غورتشاكوف الكسندر ، الامير (١٧٩٨ - ١٨٨٣) - رجل دولة وديبلوماسي روسي . وزير الخارجية (١٨٥٦-١٨٨٢) . - ص ٣٠ .

غيزو (Guizot) **فرنسوا بيير غيّوم** (١٧٨٧-١٨٧٤) - مؤرخ ورجل دولة برجوازي فرنسي . من سنة ١٨٤٠ إلى سنة ١٨٤٨ ، اشرف فعلاً على سياسة فرنسا الداخلية والخارجية . - ص ٤٠ .

غيّو (Guiod) **ادولف سيمون** (من مواليد سنة ١٨٠٥) - جنرال فرنسي . القائد الاعلى للمدفعية اثناء حصار باريس (١٨٧٠-١٨٧١) . - ص ٣٦ .

فافر (Favre) **جول** (١٨٠٩-١٨٨٠) - محام وسياسي فرنسي . احد زعماء الجمهوريين البرجوازيين المعتدلين . وزير الخارجية (١٨٧٠

ـ ١٨٧١) . اجرى المفاوضات بشأن استسلام باريس وبشأن الصلح مع المانيا . جلاد كومونة باريس وأحد ملهمي النضال ضد الاممية . ـ ص ٢٠ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٠ .

فالانتين (Valentin) **لويس ارنست** . جنرال فرنسي . بونابرتـــي . قام بوظائف مدير البوليس في باريس عشية انتفاضة ١٨ آذار (مارس) ١٨٧١ . ـ ص ٤٥ ، ٧٤ .

فايان (Vaillant) **ادوار ماري** (١٨٤٠ ـ ١٩١٥ ـ اشتراكي فرنسي . بلانكي . عضو كومونة باريس . عضو المجلس العام للاممية الاولى . احـــد مؤسسي الحزب الاشتراكي في فرنسا . فيما بعد اصلاحي . ـ ص ١٣ .

فرانكل (Frankel) **ليو** (١٨٤٤ ـ ١٨٩٦) ـ قائد بارز في الحركة العمالية المجرية والعالمية . عضو كومونـــة باريس . عضو المجلس العام للاممية (١٨٧١-١٨٧٢) . ـ ص ٦٨ .

فرديناند الثاني (١٨١٠-١٨٥٩) ـ ملـــك نابولي (١٨٣٠-١٨٥٩) لقب بالملك-القنبلة لقصفه ميسينا سنة ١٨٤٨ . ـ ص ٣٩ .

فروبليفسكي (Wróblewski) **فاليري** (١٨٣٦-١٩٠٨) ـ ديموقراطي ثوري بولوني . جنرال في كومونة باريس . عضو المجلس العام للامميـــة والامين-المراسل لاجل بولونيا (١٨٧١ ـ ١٨٧٢) . اشترك بنشاط في النضال ضد الباكونينيين . ـ ص ٦٨ .

فريدريك الثاني (الملقب «بالكبير») (١٧١٢-١٧٨٦) ـ ملك بروسيـــا (١٧٤٠-١٧٨٦) . ـ ص ٩١ .

فلورانس (Flourens) **غوستاف** (١٨٣٨-١٨٧١) ـ ثوري فرنسي . عالم طبيعيات . بلانكي . عضو كومونة باريس . في نيسان (ابريـــــل) ١٨٧١ اغتاله الفرساليون بوحشية . ـ ص ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٣ .

فولتير (Voltaire) **فرنسوا ماري** (الكنية الحقيقيـــة **ارويه**) (١٦٩٤ـ ١٧٧٨) ـ منور فرنسي بارز . فيلسوف من انصار التأليه الطبيعي او السببي . كاتب ساخر وهجائي . مؤرخ . ـ ص ٥٣ .

فيري (Ferry) **جول فرنسوا كميل** (١٨٣٢-١٨٩٣) ـ محـــام فرنسي . كاتب اجتماعي وسياسي . رجل سياسة . عضو حكومـــة الدفاع الوطني . رئيس بلدية باريس (١٨٧٠-١٨٧١) . ناضل بنشاط ضد الحركة الثورية . ـ ص ٣٨ .

فينوا (Vinoy) **جوزف** (١٨٠٠-١٨٨٠) – جنرال فرنسي . بونابرتي . اشترك في انقلاب الثاني من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٥١ . احد جلادي كومونة باريس . آمر جيش الفرساليين الاحتياطي . – ص ٤٥ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٣ .

كابه (Cabet) **ايتيين** (١٧٨٨-١٨٥٦) – كاتب اجتماعي وسياسي فرنسي . ممثل بارز للشيوعية الطوبوية السلمية . مؤلف كتاب «رحلة الى ايقاريا» . – ص ٩٠ .

كافينياك (Cavaignac) **لويس اوجين** (١٨٠٢-١٨٥٧) جنرال وسياسي فرنسي . منذ ايار (مايو) ١٨٤٨ ، وزير الحربية . قمع بقساوة خارقة انتفاضة عمال باريس في حزيران (يونيو) ١٨٤٨ . – ص ٨٤ .

كالون (Calonne) **شارل الكسندر دي** (١٧٣٤-١٨٠٢) – رجل دولة فرنسي . اثناء الثورة البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر احد زعماء المهاجرين المعادين للثورة . – ص ٧٣ .

كوتلوغون (Coêtlogon) **لويس شارل ايمانويل** ، كونت **دي** (١٨١٤-١٨٨٦) – موظف فرنسي . بونابرتي . احد منظمي الانتفاضة المعادية للثورة في باريس في ٢٢ آذار (مارس) ١٨٧١ . – ص ٥١ .

كوربون (Corbon) **كلود انتيم** (١٨٠٨-١٨٩١) – سياسي فرنسي . جمهوري . نائب في الجمعية التاسيسية (١٨٤٨ – ١٨٤٩) . فيما بعد ، رئيس البلدية في احدى دوائر باريس . نائب في الجمعية الوطنية سنة ١٨٧١ . – ص ٣٥ .

كوزان-مونتوبان (Cousin-Montauban) **شارل غيوم** ، كونت **دي باليكاو** (١٧٩٦-١٨٧٨) – جنرال فرنسي . بونابرتي . وزير الحربية ورئيس الحكومة (آب – ايلول ١٨٧٠) . – ص ٤٥ .

لافيت (Laffitte) **جاك** (١٧٦٧ – ١٨٤٤) – مصرفي وسياسي فرنسي كبير . اورلياني . – ص ٣٨ .

لويس بونابرت – راجع **نابليون الثالث** .

لويس فيليب (١٧٧٣ – ١٨٥٠) – دوق **اورليان** . ملك فرنسا

محتويات

Mouyn

دار التقدم • موسكو